

نوابغ الفكر العربي

١٦

# البحرئ

بقلم

الدكتور أحمد أحمد بدوي



دارالمعارف





البخاري



نوابغ الفكر العربي

١٦

# البحراني

بقلم الدكتور أحمد بدوي

أبو تمام والمتنبى حكيما  
والشاعر البحري  
« المعري »

الطبعة الخامسة



دار المعارف





## الفصل الأول

### عصر البحتري

#### ١ - الحياة السياسية

تمّ الأمر لبني العباس ، وبويع السفاح بالخلافة سنة ١٣٢ هـ ، وصرف هذا الخليفة كل همّه إلى تثبيت عرش الخلافة العباسية ، بأن أعمل السيف في رقاب الباقيين من بني أمية . وغيرهم من أولياء الدولة الذين كان لهم أثر محمود في إقامتها<sup>(١)</sup> .

وظلت الخلافة تنتقل من قوى إلى قوى . حتى آل أمرها إلى الأمين ، الذي عمل على نقل الخلافة من وليّ عهده : المأمون إلى ابنه : موسى ؛ فقامت بين الأخوين : الأمين ، والمأمون حروب ، انتهت بقتل الأمين ، وصعود المأمون عرش الخلافة ، في المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة هـ<sup>(٢)</sup> ( سبتمبر سنة ٨١٣ م ) .

وانتهى عصر المأمون ، وقد شبت فيه ثورات في بعض أرجاء بلاده المترامية الأطراف ، أثار بعضها العلويون ، وبعضها أنصار الأمين المقتول ، وبعضها من لم يرض عن أفعال وزيره الأول : الفضل بن سهل ، كما غلب على طريق البصرة وعاث فيها قوم من أخلاط الناس يعرفون بالزط<sup>(٣)</sup> ، سير المأمون إليهم من حاربهم سنة ست ومائتين هـ<sup>(٤)</sup> . كما قامت بعض الفتن في شمال بلاد فارس . وقد استطاع المأمون أن يخمّد بعض هذه الثورات ، وأوصى ، قبل أن يموت ، أخاه

---

( ١ ) تاريخ الدولة العباسية ص ٥٣ .

( ٢ ) راجع تاريخ الأمم والملوك ١٠ : ١٢٤ وما يليها .

( ٣ ) الزط : جيل أسود من السند إليهم تنسب الثياب الزطية . وقيل : الزط تعريب جت بالهندية ،

وهم جيل من أهل الهند . وقيل : إنهم جنس من السودان والهنود . والواحد زطى ، مثل الزنج والزنجى والروم والرومى . وقيل الزط : السبايجة قوم من السند بالبصرة .

( ٤ ) تاريخ الأمم والملوك ١٠ : ٢٥٨ وتاريخ الدولة العباسية ص ٢١٨ .

المعتصم أن يقضى على باقيها . ولما مات المأمون عام ثمانية عشر ومائتين هـ (سنة ٨٣٣ م) خلفه أخوه المعتصم ، فقضى على هذه الثورات<sup>(١)</sup> ، ولكنه وضع بيده البذور التي عملت على ضعف سلطان الخلفاء العباسيين واضطراب أمرهم من بعده .

ذلك أن المعتصم كان شجاعاً جسوراً يحب الشجعان ويعتز بهم ، فاستخدم الأتراك ، واستكثر منهم ، فاجتمع له منهم عدد ضخم ، نالوا الناس بالأذى في بغداد ، فكانوا لا يتورعون عن أن يجرؤوا الخيول في الأسواق ، فتدوس الضعفاء والصبيان . وكان أهل بغداد ربما ثاروا ببعض أولئك الأتراك ، فقتلوه عندما يصلهم امرأة ، أو شيخاً كبيراً ، أو صبيّاً ، أو ضريراً . ثم ارتفعت الأصوات بالشكوى منهم إلى المعتصم ، فقرر رأيهم على الرحيل من بغداد مع جنده ، وبنى لهم مدينة تدعى : « سامراً » منحوتة من « سر من رأى » ، وأقام معهم فيها<sup>(٢)</sup> .

أخذ هؤلاء الأتراك ، وهم قوم جفافة غُلُف القلوب ، يجمعون السلطة في أيديهم ، ويعملون على أن يكون لهم الأمر والنفوذ ، وقد لمعت يومئذ أسماء طائفة من قوادهم كالأفشين ، وأشناس ، وإيتاخ ، ووصيف . وهم الذين رفع المعتصم من شأنهم ، ثم أدرك خطأه فيما فعل<sup>(٣)</sup> .

وثبتت قدم الأتراك . بعد أن تبوأ العرش هرون الواثق بن المعتصم ، عام سبعة وعشرين ومائتين هـ ، فاستخدم القائد التركي بغا الكبير في إخماد ثورة الأعراب الذين عاثوا فساداً في المدينة وما حولها<sup>(٤)</sup> ، كما وكل إلى وصيف التركي أمر إخضاع الثائرين من الأكراد<sup>(٥)</sup> الذين تطرقوا إلى بلاد فارس .

صار هؤلاء الأتراك مصادر خطر يهدد سلطان الخلفاء ، بما قبضوا عليه من مقاليد السلطة ، ويزاد الأمر سوءاً ما كان بين الأسرة الحاكمة من شقاق

(٢) مروج الذهب ٣ : ٣٤٩ .

(٤) المرجع السابق ١١ : ١٢ .

(١) الكامل ٦ : ١٨١ و ١٩٤ .

(٣) تاريخ الأمم والملوك ١١ : ٨ .

(٥) المرجع السابق ١١ : ١٨ .



وإحن<sup>(١)</sup>؛ فقد ذكروا أن الواثق غضب على أخيه : جعفر المتوكل ، ووكل عليه من يحفظه ، ويأتيه بأخباره . فأتى المتوكل إلى محمد بن عبد الملك بن الزيات يسأله أن يكلم الواثق ليرضى عنه ، فوقف بين يديه ، لا يكلمه ، ثم أشار إليه بالجلوس فجلس ، فلما فرغ مما بين يديه من الكتب نظر إليه ، وقال : ما جاء بك ؟ قال : جئت أسأل أمير المؤمنين الرضا عني ؛ فقال ابن الزيات لمن حوله : انظروا . يغضب أخاه ، ثم يسألني أن أسترضيه له !! اذهب ، فإذا صلحت رضى عنك ؛ فقام المتوكل أسفاً ، أما ابن الزيات فإنه كتب إلى الواثق : إن جعفرأ أتاني في زى الخنثيين ، له شعر بقفاه ، يسألني أن أسأل أمير المؤمنين الرضا عنه ؛ فكتب إليه الواثق : ابعث إليه ، فأحضره ، ومُرَّ من يجز شعر قفاه ، فيضرب به وجهه . قال المتوكل : لما أتاني رسوله لبست ثوباً جديداً ، وأتيته ؛ رجاء أن يكون قد أتاه الرضا عني ؛ فاستدعى حجاماً ، فأخذ شعري ، ثم ضرب به وجهي<sup>(٢)</sup> . فلما مات الواثق سنة اثنتين وثلاثين ومائتين هـ ، وولى المتوكل الخلافة ، انتقم من ابن الزيات ، وقتله في تنور من الحديد ، رعوس مساميره إلى داخل ، قائمة مثل رعوس المسال ، وكان ابن الزيات يعذب الناس فيه . أيام وزارته<sup>(٣)</sup> .

ظهر الأثر السيئ لطغيان سلطة الأتراك في عهد المتوكل ، فقد أحس المتوكل بتوغل الأتراك في الدولة . واستشارهم بأموال الخلافة ، وإدارتها ، وجيشها ، فأحب أن يقلل من نفوذهم . غير أن الأتراك قد شعروا أن قلب المتوكل متغير عليهم ، وأنه يدبر المكاييد ؛ لیتخلص منهم واحداً بعد واحد ، وشاهدوا بدء ذلك في إيتاخ الذى خادعه المتوكل حتى قتله<sup>(٤)</sup> . فخاف الأتراك على سلاطنتهم ، ورأوا في رغبة الخليفة أن يجعل دمشق<sup>(٥)</sup> عاصمة خلافته بدلا من « سامرا » نذير سوء ، فلعله أراد أن يستعين بعرب الشام عليهم . وحدث

(١) إحن : جمع إحنة وهى الحقد .

(٢) الكامل ٧ : ١٤ .

(٣) مروج المذهب ٣ : ٣٧ .

(٤) الكامل ٧ : ١٨ .

(٥) أخبار الأمم والملوك ١١ : ٥٥ .

أن عقد المتوكل البيعة لبنيه الثلاثة ، بولاية العهد ، وهم : المنتصر ، والمعتز ، والمؤيد ، وقسم البلاد بينهم ، ولكن بطانة المتوكل غيرت قلبه على ابنه : المنتصر ، وكانت تعمل على تقريب<sup>(١)</sup> المعتز ، فخاف المنتصر أن تثول الخلافة إلى المعتز دونه ، وشعر بذلك الأتراك ؛ فالتف قوادهم حول المنتصر ، وزينوا له قتل أبيه ، ليصعد إلى العرش من بعده ، ونفذت المؤامرة ليلة الأربعاء لأربع خلون من شوال سنة ٢٤٧هـ<sup>(٢)</sup> (١١ ديسمبر سنة ٨٦١م) ، إذ قتل المتوكل ، ونديمه الفتح بن خاقان<sup>(٣)</sup> ، في مجلس كان البحرى معهما فيه .

ولم يهنا المنتصر بالخلافة بعد قتل أبيه ، ولم يستقر على عرشها إلا شهراً ستة ، مات بعدها بالذئبة ، أو بورم في معدته ، أو بمبضع مسموم<sup>(٤)</sup> ، وخضع المنتصر لإرادة الأتراك ، فدفع أخويه إلى النزول عن ولاية العهد<sup>(٥)</sup> ، حتى لا تصير إليهما الخلافة ، فيعملا على الانتقام ممن قتل أباهما .

توفي المنتصر في الخامس من ربيع الثاني سنة ٢٤٨هـ ( ٧ يونيو سنة ٨٦٢م ) واختار قواد الأتراك أحمد بن محمد بن المعتصم خليفة ، ولقبوه بالمستعين ، وسلبوا منه كل سلطان ، وصار الأمر لبغا ووصيف التركيين ، حتى قال في ذلك بعض الشعراء :

خليفة في قفص بين وصيف وبغا  
يقول ما قالوا له كما يقول الببغا

(١) المرجع السابق ص ٦٢ . (٢) الكامل ٧ : ٣٧ .

(٣) الفتح بن خاقان بن أحمد ( المتوفى سنة ٢٤٧هـ - ٨٦١م ) : أديب شاعر فصيح ، كان في نهاية الفطنة والذكاء ، فارسي الأصل ، من أبناء الملوك . اتخذ المتوكل العباسي أسخاً له وجعل له إمارة الشام على أن ينيب عنه وكان يقدمه على جميع أهله وولده . واجتمعت له خزانة كتب حافلة من أعظم الخزائن . وألف كتاباً سماه : « اختلاف الملوك » وكتاباً في « الصيد والحوارح » وكتاب « الروضة والزهر » ، وقتل مع المتوكل . وهو غير الفتح بن خاقان بن محمد الكاتب والمؤرخ الإشبيلي صاحب كتاب « قلائد العقيان » في أخبار شعراء المغرب . مات قتيلاً في مراکش سنة ٥٢٩هـ - ١١٣٤م بإيعاز من أمير المسلمين : علي بن يوسف بن تاشفين .

(٤) أخبار الأمم والملوك ١١ : ٧٩ . (٥) المرجع السابق ص ٧٥ .

وكان المستعين عندما تولى الخلافة أطلق يد أتامش التركي ، وشاهك الخادم ، في بيوت الأموال ، وأباح لهما أن يفعلا بها ما يشاءان ، وأباح ذلك أيضاً لأمه ، فكانت الأموال التي ترد من الآفاق إنما يصير معظمها إلى هؤلاء الثلاثة ، وما بقي بعد ذلك ينفق على العباس بن المستعين ، وكان في حجر أتامش الذي استولى أيضاً على أمور الخلافة ، فعز ذلك على وصيف وبغا ، وقتلاه<sup>(١)</sup> . وأرسل المستعين إليهما ، وقال لهما : ما طلبت إليكما أن تجعلاني خليفة ، وإنما جعلتاني أنما وأصحابكما ، ثم تريدان أن تقتلاني<sup>(٢)</sup> ؟ ! وشبت فتنة خرج على إثرها المستعين إلى بغداد ، تاركاً «سامراً» ، ولم يعجب الأتراك انصرافه ، ففضوا إلى السجن وأخرجوا منه المعتز ، وكان المستعين قد سجنه وأخاه ، فبايعوه بالخلافة ، وجعلوا أخاه المؤيد وليّ عهده<sup>(٣)</sup> ، وهكذا صارت بغداد في جانب المستعين ، وسامراً في جانب المعتز ، وهياً كل منهما الجيوش لحرب صاحبه : وصعد نجم المعتز ، ووجد المستعين أن الخير له في أن يقبل خلع نفسه بشروط تضمن له الحياة<sup>(٤)</sup> . ولم يُصَبَّ المستعين بهذه الفتن وحدها ، بل ثار في عهده العلويون في الكوفة وطبرستان<sup>(٥)</sup> .

لم يكد الأمر يستقرّ للمعتز في رابع المحرم سنة ٢٥٢ هـ ( ٢٥ يناير سنة ٨٦٦ م ) ، حتى أراد أن يطمئن على كرسی الخلافة ، فقتل المستعين<sup>(٦)</sup> ، ليأمن من انتقاضه ، وخلع أخاه المؤيد ، ثم قتله ، لما بلغه من أن بعض الأتراك يريدون إخراجه من السجن<sup>(٧)</sup> .

ولم يصفُ الأمر للمعتز طويلاً . فقد اتفقت كلمة طوائف الجند على خلعه ، عندما طالبوه بعطائهم ، فلم يجدوا عنده ولا في بيت المال مالا ، ثم إنهم قد عاملوه عند الخلع أسوأ معاملة ، فقد دخلوا حجرته ، وجروا برجله إلى باب

(١) أخبار الأمم والملوك ١١ : ٨٦ . (٢) المرجع السابق ص ٩٤ .

(٣) المرجع السابق ص ٩٧ . (٤) المرجع السابق ص ١٣٧ .

(٥) الكامل ٧ : ٤٨ و ٤٩ . (٦) أخبار الأمم والملوك ١١ : ١٤٧ .

(٧) أخبار الأمم والملوك ١١ : ١٤٦ .



الحجرة ، وتناولوه بالضرب بالدبابيس ، فلما خرج كان قمصيه مخرقاً في مواضع ، وآثار الدم على منكبيه . فأقاموه في الشمس في وقت شديد الحر ، وصار يرفع قدمه ساعة بعد ساعة من حرارة الموضع الذي أقيم فيه ، وأخذ بعضهم يلطمه ، وهو يتنق بيده ، وأجبروه على خلع نفسه من الخلافة ، ثم دفع إلى من يعذبه ، ومنع الطعام والشراب ثلاثة أيام . ثم جصصوا سرداباً بالحص ، وأدخلوه فيه . وأطبقوا عليه بابه ، فأصبح ميتاً<sup>(١)</sup> . وكان ذلك في أواخر رجب وأول شعبان سنة ٢٥٥ هـ .

وصعد المهتدي إلى عرش الخلافة بعد المعتز في ٢٧ رجب سنة ٢٥٥ هـ . ( ١١ يولية سنة ٨٦٩ م ) ، ويذكر التاريخ له صفات هي صفات الخليفة العادل ، فيذكر عدله وتقواه ، وكرهه للظلم ، وجلوسه للمظالم ، وإخراجه المغنين والمغنيات من « سامرا » . وإبطاله للملاهي<sup>(٢)</sup> . ولكن ذلك لم يغنه شيئاً أمام طوائف الجند ، فثاروا عليه . فولى منهزماً ، وبيده السيف ، وهو ينادى : يا معشر المسلمين ، أنا أمير المؤمنين ، قاتلوا عن خليفتكم ، فلم يجبه أحد ، فسار إلى باب السجن فأطلق من فيه ، وهو يظن أنهم يعينونه ، فهربوا ، ولم يعنه أحد<sup>(٣)</sup> : واقتصر الجند أثره . وأرادوه على خلع نفسه فأبى ، فخلعوه ، بعد أحد عشر شهراً من خلافته ، وقتل في اليوم الثاني لخلعه في رجب سنة ٢٥٦ هـ . وإلى هذا الحد وصلت الخلافة العباسية والخلفاء العباسيون .

وأخرج المعتمد من السجن وبويع بالخلافة في ١٦ رجب سنة ٢٥٦ هـ . ( ١٩ يولية سنة ٨٧٠ م ) ، ونصب أخوه الموفق قائداً للجيش حسماً لما بين القواد من خلاف ومنافسة ، وقد استبد الموفق بالأمر ، وكان رجلاً ذا عزم وقوة ، يحب الإصلاح ، فترك المعتمد في لهوه ولعبه ، فقد كان الغالب عليه الشغف بالطرب ، ومحبة أنواع اللهو والملاهي<sup>(٤)</sup> ، وانفرد الموفق بالسلطان الحقيقي ،

(١) المرجع السابق ص ١٦٢ .

(٢) المرجع السابق ص ١٧١ ، والكامل ٧ : ٩٢ .

(٣) الكامل ٧ : ٩١ و ٩٠ . (٤) مروج الذهب ٣ : ٤٥٥ .



وضيق على أخيه ، حتى إنه احتاج في بعض الأوقات إلى ثلاثمائة دينار ، فلم يجدها ، فقال :

أليس من العجائب أن مثلي يرى ما قل ممتنعاً عليه  
وتؤخذ باسمه الدنيا جميعاً وما من ذاك شيء في يديه  
إليه تحمل الأموال طراً ويمنع بعض ما يجبي إليه<sup>(١)</sup>

ومنذ بنيت سامراً اتخذها الخلفاء قاعدة حكمهم ، حتى كان المعتمد ، فتركها عائداً إلى بغداد ، ولم يعد إلى « سامراً » أحد من الخلفاء بعد ذلك<sup>(٢)</sup> .

ومع ما عمله الموفق من إعادة شيء من الهيبة للخلافة لم يستطع أن يحول دون محاولة ولاية الأطراف اقتطاع أجزاء من جسم الدولة ، والاستقلال بها بعد أن رأوا استبداد الأتراك بالخليفة ، وانشغالهم بالتكالب على جمع الأموال ؛ فرأينا أحمد بن طولون يحاول الاستقلال بمصر<sup>(٣)</sup> ، ويدخل في حوزته بلاد الشام والشغور ، ورأينا السامانيين يؤسسون دولة عظيمة فيما وراء النهر<sup>(٤)</sup> ، وبعض العلويين يحاولون الاستيلاء على بعض الأقطار<sup>(٥)</sup> ، والصفارين يعملون على الاستيلاء على فارس وغيرها<sup>(٦)</sup> .

وشغلت ثورة الزنج<sup>(٧)</sup> جانباً كبيراً من عصر المعتمد ، فقد خرج في فرات البصرة رجل زعم أنه من نسل علي بن أبي طالب ، وأخذ يجمع إليه السود ، يذكرهم بما هم فيه من سوء الحال ، والرق ، والتعب ، ويعد لهم ، إن هم اتبعوه ، أن الله سيبعدهم عن هذا العناء ، ويرفع أقدارهم ، ويملكهم العبيد والإماء ، فاتبعه خلق كثير ، واستولى بهم على بلاد عدة ، وشبت بينه وبين أهل البصرة معركة عنيفة ، غرق فيها طائفة كبيرة من أهل البصرة ، وقتلت طائفة ، قال صاحب

(١) الكامل ٧ : ١٨١ .

(٢) المرجع السابق نفسه .

(٣) المرجع السابق ص ١٢٨ و ١٦٤ . (٤) المرجع السابق ص ١١٠ .

(٥) المرجع السابق ص ٩٨ و ١٦٣ . (٦) المرجع السابق ص ١٠٣ و ١١٥ .

(٧) راجع أخبار الزنج في الكامل وأخبار الملوك في حوادث سنة ٢٥٥ هـ ، إلى سنة ٢٧٠ هـ .

الكامل<sup>(١)</sup> : « وهرب الباقون إلى الشط ، فأدركهم السيف ، فمن ثبت قتل . ومن ألقى نفسه في الماء غرق . فهلك أكثر ذلك الجمع ، فلم ينج إلا الشريد ، وكثر المفقودون من أهل البصرة . وعلا العويل من نسايتهم . وهذا يوم البيداء الذي أعظمه الناس ، وكان فيمن قتل جماعة من بني هاشم وغيرهم في خلق كثير لا يحصى . وجمعت للخبيث الرؤوس . فأتاه جماعة من أولياء المقتولين ، فأعطاهم ما عرفوا . وجمع الرؤوس التي لم تطلب . وجعلها في خزينة . فأطلقها ، فجاء الناس . وأخذوا كل ما عرفوه منها . وقوى بعد هذا اليوم . وتمكن الرعب في قلوب أهل البصرة منه . وأمسكوا عن حربه . »

وقد استفحل أمر الزنج . فشمر الموفق عن ساعد الجدة ، ووقعت بينه وبين صاحب الزنج حروب ووقائع انتصر الموفق في آخرها . وقتل صاحب الزنج في أواخر عام سبعين ومائتين هـ . بعد أربعة عشر عاماً ، قضاهما في الإفساد والتخريب .

ويظهر أن الموفق نجح في كف طغيان قواد الأتراك . فامتد عمر الخليفة . وظل على عرشه حتى توفي ليلة الاثنين لإحدى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ٢٧٩ هـ ( ١٥ من أكتوبر سنة ٨٩٢ م ) . وبويع المعتضد بالخلافة يومئذ ، قال المسعودي : « ولما أفضت الخلافة إلى المعتضد سكنت الفتن ، وصلحت البلدان . وارتفعت الحروب . ورخصت الأسعار . وهدأ الهرج ، وكان مظفراً ، قد دانت له الأمور . ... وأدبل له في أكثر المخالفين عليه ، والمنابذين له ، ... وخلف المعتضد في بيوت الأموال تسعة آلاف ألف دينار . ومن الورق أربعين ألف ألف درهم ، ومن الدواب والبغال والحمير والجمال اثني عشر ألف رأس ، وكان مع ذلك شحيحاً بخيلاً ، ينظر فيما لا ينظر فيه العوام . ... وكان مع ذلك قليل الرحمة ، كثير الإقدام . سفاكاً للدماء ، شديد الرغبة في أن يمثل بمن يقتله »<sup>(٢)</sup> .

وفي عهد هذا الخليفة مات البحري كما أنه ولد في عهد المأمون .

## ٢ - الحياة الاجتماعية

اختلط العرب بعد أن تمت الفتوح في العهد الأمويّ بكثير من الأمم المختلفة جنساً ولغةً وديناً واجتماعاً، فقد فتحوا البلاد من الأندلس وشمال إفريقيا ومصر والشام والعراق وفارس إلى ما وراء فارس، واتصلوا بأعظم مدينتين قائمتين يومئذ، وهما: مدينة الفرس ومدينة الروم؛ فكان لهذا الاختلاط، والاتصال أثره الكثير في الحياة الاجتماعية في العصر العباسي.

ذلك أن العرب في العصر الأمويّ ترفعوا عن مخالطة الأعجم، اعتزازاً بجنسهم، فلما جاء العصر العباسي ارتفع شأن الفرس، بما كان لهم من فضل في تأسيس الدولة، فأخذوا يجهرون بمآثرهم، وما كان لهم من تاريخ قديم ومجد، وأنكر العرب عليهم ذلك، وطال الجدل بين الفريقين، وكان من ذلك انتشار مبدأ الشعوبية<sup>(١)</sup> الذي يقرر ما كان للشعوب غير العرب من آثار في الفكر والمدنية.

وكان من آثار ارتفاع شأن الفرس وغيرهم من الموالى، وما أحسوا به من حرية بعد ضيق في العصر الأمويّ - أن أطلقوا لأنفسهم العنان في البحث الديني، ووازنوا بين عقائد أديانهم القديمة وعقائد الدين الإسلامي، فانتشرت الزندقة والإلحاد، وتبع ذلك غلبة الشهوات الجسمية على طائفة المستهترين، فأباحوا ما لم يكن مباحاً من قبل، من أنواع الملاذ، وكان من الطبيعي أن ينهض في مثل هذا المجتمع طائفة من الوعاظ، تدعو الناس إلى سواء السبيل، وتأمّرهم بالتزام جادة الدين.

وشاع في العصر العباسي تسري الجوارى، وكان خلفاء بني العباس منذ الهادي أبناء سراري<sup>(٢)</sup>. ما عدا الأمين فإنه ابن زبيدة بنت جعفر المنصور،

(١) تاريخ الأدب العربي، في العصر العباسي للأستاذ السباعي بيومي ص ١١. والشعوبية مبدأ من يصغر شأن العرب، ولا يرى لهم فضلاً على غيرهم؛ فقليل لمحتقر أمر العرب: شعوبي. وأضافوه إلى الجمع لغلبته على الجيل الواحد كقولهم: أنصاري.

(٢) راجع مروج الذهب في تقديمه لكل خليفة.

وامتلأت قصور الخلفاء والأمراء والأغنياء بالجواري والقيان<sup>(١)</sup> ، وكان لذلك أثره الكبير في النشء من ناحيتي الجسم والعقل ، وكان لهؤلاء القيان أثرهن في الأدب العربي يومئذ .

وقد أثر اختلاط العرب بقوم يرون لأنفسهم مجداً ورفعة في التاريخ . وهذا النسل الجديد من أبناء الجواري في أن تخلى العرب عن كثير من مناقبهم التي شبوا عليها في بداوتهم ، وهذا بها الإسلام في صدر إسلامهم ، كاستقلال ، والشجاعة ، والنجدة ، والأنفة ، والعفة ، مما جبلوا على مدحه ، وكان له في أدبهم صور رائعة ، وأصبحنا نجد عندهم الضعف ، والاستسلام ، والغدر<sup>(٢)</sup> .

كان المجتمع يومئذ مكوناً من طبقتين : طبقة الخاصة ، وهي الخليفة ، وأهله ، ورجال دولته ، والأغنياء من الشعب . والثانية طائفة العامة ، وهي المزارعون من أهل القرى ، والصناع والتجار في المدن . أما طبقة الخاصة فقد استأثرت بالخيرات والمال ، تكتنزه حيناً ، وتنفقه على ملذاتها حيناً آخر . فكان الترف مثلهم الأعلى ، وحسبك أن تعلم أنه عثر عند أم المعتز على مقدار خمسمائة ألف دينار ، وظفروا لها بخزائن تحت الأرض فيها أموال كثيرة ، ومن جملتها دار وجدوا فيها ألف ألف دينار . وثلاثمائة ألف دينار ، ووجدوا عندها في أحراز زمرداً لم ير الناس مثله ، ومن اللؤلؤ الكبار ، والياقوت الأحمر ما لم يوجد مثله<sup>(٣)</sup> . وقد كان هذا المال سبباً في انغماس طبقة الخاصة إلى أذقانهم في الترف والحضارة ، فبنوا القصور العالية ، تحف بها الحدايق الوارفة الظلال . وتجري من تحتها الأنهار ، وتقام في أفنيئها البرك الرخامية . كما لبسوا أرق أنواع الحرير ، وجعلوا حياة العمل لباساً ، ولحياة اللهو لباساً آخر ، وأكلوا ما لذ وطاب من ألوان الطعام ، وشربوا ما شفى وراق من أنواع الشراب ، وحشدوا في قصورهم أجمل أنواع الأثاث ، واقتنوا الأحجار الكريمة والجواهر ، وتأنقوا في تزيين حيطانهم وسقوفهم بصور الذهب والفضة ، وتفنن الخلفاء في الاحتفال بمواكبهم ،

(١) القيان : جمع قينة وهي : الأمة المغنية .

(٢) تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي للأستاذ السباعي ص ٢٥ .

(٣) الكامل ٧ : ٧٨ .



وإظهار الزينة والأبهة ، مما أخذ بألباب الناس ، وبخاصة الشعراء .

كان هذا الترف سبباً في أن النفوس قدّست المادة يومئذ ، لتشبع جشعها ، فأحبّ الناس المال حبّاً شديداً ، ومضوا يريدون الحصول عليه من أى طريق كان ، فانتشرت الرشوة انتشاراً مخيفاً ، فأثرى من بيدهم تصريف الأمور إثراء سريعاً ، وتبع ذلك أن ذوى الأمر كثيراً ما أقدموا على استصفاء أموال هؤلاء<sup>(١)</sup> ، لعلمهم أنها جمعت من الحرام .

وكان هذا المال أيضاً سبباً من الأسباب التى كانت تدعو الجند إلى الشغب ، فإذا رأوا طائفة منهم قد استأثرت ببعض المال ، أو رأوا مالا عند الخليفة أو أهله ، ثاروا يريدون نصيبهم من هذا المال<sup>(٢)</sup> ، وقد رأينا بعض الآثار لجشع طوائف الجند فى الحوادث التى أودت بحياة بعض الخلفاء ، ولهذا كان القواد وكتابهم فى رفاهية من العيش وترف<sup>(٣)</sup> .

كما كان هذا المال سبباً فى الخلاف بين قادة الجند<sup>(٤)</sup> ، وإيقاع بعضهم ببعض . تغابت روح النفعية فى ذلك العصر ، وسادت هذه الروح الصّلات التى تربط بين الناس ، لاندفاعهم فى طريق المادة ، ورغبتهم فى أن يحصلوا على المال من أى طريق كان .

أما طبقة العادة فكانت كادحة مجدة ؛ لتظفر بما يحفظ عليها الحياة ، ولهذا كان هذا العصر عصراً خصباً لخروج صاحب الزنج الذى أخذ يبنى أتباعه بحياة أفضل من حياة التعب والشقاء التى يقاسونها ، وذلك للفرق الشاسع بين الطبقتين ، وقد رأينا استجابة قوية لدعوته ، كافت الدولة كثيراً من الجند والجهد والمال .

ولم يكن للدّين سلطانه المطلق على نفوس الخلفاء والوزراء ، إذا استثنينا القليل منهم كالمهتدى ، فتسامحوا فى شرب النبيذ ، ومالوا إلى اللهو ، وقلّ مثل

(١) أخبار الأمم والملوك ١١ : ١٠ ، ١٦٠ .

(٢) الكامل ٧ : ٩٠ . (٣) المرجع السابق ص ٩١ .

(٤) تاريخ الأمم والملوك ١١ : ١٥٦ .

ذلك في القواد والجند ، حتى لقد ثاروا على المهتدي حينما أراد أن يحملهم على سيرة الرسول وأهل بيته والخلفاء ، فقليل له : الرسول كان مع قوم زهدوا في الدنيا ورغبوا في الآخرة ، وأنت إنما رجالك تركي ، وخزري ، ومغربي ، وغير ذلك من أنواع الأعاجم ، لا يعلمون ما يجب عليهم من أمر آخرتهم ، وإنما غرضهم ما استعجلوه من هذه الدنيا<sup>(١)</sup> .

وإذا كان الشعب قد أحب المهتدي فذلك لعدله ، ورغبته في رد المظالم ، ولكنهم استثقلوا منه رغبته في أن يحملهم على آداب الدين والعمل بمبادئه<sup>(٢)</sup> . ولكن مظهراً من مظاهر الدين بقي له جلاله وقيمته ، وهو مظهر الحج ، يعني به الشعب ، وتعني به الدولة ، فتقيم كبيراً من كبرائها يكون على رأس حجاجها في كل عام .

### ٣ - الحياة العقلية

وجه بنو العباس همهم نحو العلم والثقافة ، وشغفوا بعلوم الأمم الأجنبية ذات الحضارة والمدنية ، فأقبل العلماء على التأليف والترجمة ، وزادهم إقبالاً على عملهم حث الخليفة أبي جعفر المنصور عليه ، وحمله الأئمة على جمع الحديث والفقه ، وبذله ، على بنخله ، الأموال الجزيلة للعلماء . ولم يقتصر المنصور على تعضيد العلوم الإسلامية ، بل أوعز إلى العلماء والمترجمين من السريان والفرس أن ينقلوا إلى العربية من الفارسية واليونانية فنون الطب ، والسياسة ، والحكمة ، والفلك ، والتنجيم ، والمنطق ، وتابعه في ذلك أولاده وأحفاده ، وما انتهى عصر المأمون والواثق حتى لم يبق علم مما صنف فيه اليونان والسريان والفرس والهنود إلا ترجم منه أكثر من كتاب<sup>(٣)</sup> . وانقسمت العلوم إلى قسمين عظيمين : العلوم الإسلامية : من شرعية ولسانية . والعلوم اندخيلة : من فلسفة إلهية وطبيعية

(١) مروج الذهب ٣ : ٤٣٣ . (٢) المرجع السابق ص ٤٣١ .

(٣) تاريخ اللغة والآداب في العصر العباسي للأستاذ السكندري ص ٤٨ و ١٨٢ .

ورياضية . وغيرهما . وقد ورث القرن الثالث الذى عاش فيه البحتري ما أنتجته النهضة الفكرية من أوائل أيام الدولة العباسية ، ثم أضاف إلى ذلك ثماراً جديدة في ألوان المعارف .

أما العلوم الشرعية ، كتفسير القرآن ، وجمع حديث الرسول الكريم ، واستنباط أحكام الدين مما عرف بعلم الفقه ، والتدليل على العقائد الدينية مما عرف بعلم الكلام — فقد درست هذه العلوم في القرن الذى عاش فيه البحتري ، وعرفت بعض المؤلفات فيها ، كتفسير إسحق بن راهويه <sup>(١)</sup> المتوفى سنة ٢٣٨ هـ .

وأما العلوم اللسانية ، كالنحو والصرف فقد كان القرن الثالث عصر عناية بها : ظهر كتاب سيبويه المتوفى سنة ١٨٠ هـ . في النحو على مذهب البصريين ، وشرحه تلميذه الأنخفش ، كما ظهر كتاب الحدود للفراء <sup>(٢)</sup> المتوفى سنة ٢٠٧ هـ في النحو على مذهب الكوفيين . ونشأ في البصريين والكوفيين طبقات تشرح ، وتكمل ، وتختصر ، وتضع الاصطلاحات ، وكان بين البصريين والكوفيين يومئذ نوع من الجدل والمناظرة ، فلما كانت بعض الفتن ، كثورة الزنج نزح الفريقان إلى «بغداد» ، ونشأت طريقة هي خليط من المذهبين ، وتعرف بطريقة البغداديين . وأما اللغة ، فقد حاول العلماء يومئذ جمع ألفاظ اللغة في كتاب ، بعد أن وضع بعض العلماء رسائل صغيرة في فئات من الألفاظ التي تتصل بموضوع واحد ، كالتى تجمع أعضاء الإنسان أو الحيوان أو النبات أو الجماد ، ومما زاد اهتمامهم بها أنهم رأوا القوم يجهلون معانى الألفاظ ، والفرق بين معانى الكلمات ، كما يحدثنا بذلك ابن قتيبة في مقدمة كتابه <sup>(٣)</sup> .

وأما علوم البلاغة ، ولم تكن قد تميزت بعد بفروعها الثلاثة المعروفة اليوم : من معان ، وبيان ، وبديع ، فقد شهد هذا العصر مبدأ تكوينها في كتاب مجاز القرآن الذى ألفه أبو عبيدة المتوفى سنة ٢٠٦ هـ ، عقب أن سئل في مجلس الفضل بن الربيع عن معنى قوله تعالى : « طلعها » <sup>(٤)</sup> كأنه رعوس الشياطين ،

(١) تاريخ الأدب العربى في العصر العباسى للأستاذ السباعى بيومى ص ٢٤٠ و ٢٤٢ .

(٢) وفيات الأعيان ٢ : ٢٢٨ . (٣) أدب الكاتب ص ٤ .

(٤) طلع النخلة : ما يخرج منها كأنه نملان مطبقان ، والحمل بينهما منضود .

وأن الشياطين ورعوسها لم تعرف ؛ فأجاب بأنه على حدّ قوله :

أبقتني والمشرقي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال<sup>(١)</sup> !

وكالذي كان من الجاحظ في كتابه : « البيان والتبيين » من تعرضه لبعض مسائل البلاغة ، من غير أن تتضح معالم هذه العلوم ، أو تتفرغ مسائلاها ، وتنحصر على النحو الذي نراه اليوم . كما أن غرام بعض الشعراء المحدثين بالمحسنات والزخارف الصناعية دفع رجال الأدب في ذلك العصر إلى دراستها ، ووضع أسماء لها ، ومعرفة نماذجها في الأدب الموروث . وفي القرآن الكريم ، والسعي وراء استقصائها . وجمع الأمثلة لها . وتمخض ذلك كله عن كتاب لابن المعتز سماه : « البديع » ، وليس كل ما فيه من علم البديع الذي نعرفه اليوم ، بل أدخل فيه بعض مسائل البيان كالاستعارة والكناية .

ومن تلك العلوم جمع الأدب الموروث ؛ فقد غنى العاصم بجمع الشعر ، وبدت هذه العناية منذ صدر الدولة العباسية ، فقد جمع المفضل الضبي المتوفى سنة ١٦٨ هـ كتابه المفضليات بأمر أبي جعفر المنصور ، فلما جاء القرن الثالث رأينا أبا تمام المتوفى سنة ٢٣١ هـ يجمع كتابه « الحماسة » ، ويبدو به على حسن اختياره ، كما أن له مجموعاً آخر سماه : « فحول الشعراء » ، جمع فيه بين طائفة كبيرة من شعراء الجاهلية والمخضرمين والإسلاميين ، وله كتاب « الاختيارات من شعر الشعراء »<sup>(٢)</sup> ، ثم يجيء بعده البحتري فيعارضه ، ويجمع كتاباً دعاه : « الحماسة » أيضاً .

وكانت العناية بجمع الشعر تغذيها دوافع كثيرة ، منها الاقتباس من المعاني القديمة ، ومنها تقويم الألسنة وتعديلها بحفظ الشعر العربي البليغ . ومنها استنباط قواعد النحو والصرف ؛ لأن أخذها من الشعر أسهل ، ومنها معرفة المعاني اللغوية للمفردات . وعلى هذا رأينا المبرد صديق البحتري ، يجمع في كتابه طائفة صالحة من الشعر يدرس فيها الأحكام ويقتبس القواعد ، ويعرف المعاني اللغوية .

(١) المشرقي : السيف . والمسنونة : الرماح ركب فيها السنان . والأغوال : جمع غول وهي :

شيطان يأكل الناس . والبيت لامرئ القيس .

(٢) وفيات الأعيان ١ : ١٢١ .



كما كان ذلك وسيلة إلى نقد ما أثر من الشعر العربي ، وقد شهد عصر البحري كذلك أوائل الكتب التي ألقت في نقد الشعر ، جمع المؤلف في بعضها ما وصل إليه من آراء السابقين حتى عصره ، وما لم من نظرات نقدية في الشعر الجاهلي ، وبدأ في بعضها النزاع الذي كان دائراً بين طائفة المجددين والمحافظين ؛ فظهر في هذا العصر كتاب طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجعفي ، المتوفى سنة ٢٣١ هـ . وتلاه الشعر والشعراء لابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هـ .

وإلى جانب دراسة الشعر ونقده كان العلماء كذلك يجمعون النثر ويدرسونه ، فظهرت الكتب الجامعة لأشقات من الخطب ، وأنواع من الرسائل ، والعهود ، والمكاتبات ، يشرحونها ويعلقون عليها ، ويروون الأخبار التي تتعلق برجالها ، وربما قصدوا بإيراد هذه النماذج بيان معنى بلاغة الكلام . وكان الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ أول من سنّ هذه الطريقة في كتبه التي من أهمها « البيان والتبيين » ، وتبعه أحمد بن أبي طاهر طيفور المتوفى سنة ٢٨٠ هـ ، وأبو العباس المبرد المتوفى سنة ٢٨٥ هـ ، في كتابيه : « الكامل ، والروضة » . والتاريخ يتعلق بالأدب ، فلم يكد يطلع القرن الثالث حتى كان التاريخ متميز الأنواع : بين تاريخ أنساب ، وتاريخ سيرة الرسول الكريم ، وتراجم ، وتاريخ المغازي والفتوح ، وغيرها ، وكان ذلك ممهداً لوضع تاريخ عام شامل لأخبار القدماء والمحدثين كهذا الذي وضعه ابن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ . وإلى جانب دراسة التاريخ درست الجغرافية . ففي عصر المأمون ترجمت كتب اليونان فيها ، وصححت أغاليط حكماء اليونان في الفلك والجغرافية<sup>(١)</sup> . كما ألف ابن خردادبة صديق البحري والمتوفى سنة ٢٨٠ هـ ، كتابه المشهور : « المسالك والممالك »<sup>(٢)</sup> بعد أن جاب أنحاء المملكة الإسلامية ، وقد استفاد البحري من ذلك كله غالباً في رحلاته ، التي كان يرحلها في الشرق والغرب حتى قال :  
مالي وللأيام ، صرف صرفها      حالي ، وأكثر في البلاد قلبي<sup>(٣)</sup>

( ١ ) تاريخ اللغة والآداب للسكندري ص ٥٣ .

( ٢ ) الفهرست لابن النديم ص ٢١٣ .

( ٣ ) صرفت الأيام حاله : بدله . وصرف الدهر : نوائبه .

أمسى زميلاً للظلام ، وأغتدى ردفاً على كفل الصّباح الأشهب<sup>(١)</sup> .  
فأكون طوراً مشرقاً للمشرق الآ قصى ، وطوراً مغرباً للمغرب

ومما ينبغي أن يوجه إليه النظر أن التصنيف في الأدب يومئذ لم يتبع غالباً منهج التبويب المنطقي المنظم ، فلم يكن المؤلف يستوفي الموضوع الذي يكتب فيه ، بل تراه ينتقل من غرض إلى غرض ، ومن فكرة إلى أخرى ، إن عنت مناسبة ، أو ظهر ما يدعو إلى الانتقال ، فهو يسلمك من باب إلى باب ، ولو لم تستكمل الأول دراسة وفحصاً ، وقد يعود بك إلى الموضوع السابق ، ويرون في اتخاذ هذه الطريقة صرفاً للقارئ عن الملل والسآمة ، كما ترى ذلك في كتب الجاحظ ، وابن سلام ، والمبرد الذي علل اتباع ذلك بقوله : « لتكون فيه استراحة للقارئ ، وانتقال ينفى الملل ؛ لحسن موقع الاستطراف ؛ ونخاط ما فيه من الجدل بشيء يسير من الهزل ، يستريح إليه القلب ، وتسكن إليه النفس ، قال أبو الدرداء ( رحمه الله ) : « إني لأستجم نفسي بالشئ من الباطل ، ليكون أقوى لها على الحق »<sup>(٢)</sup> .

ولكن ذلك لم يمنع بعض المؤلفين من التبويب الدقيق كما فعل أبو تمام في حماسه ، بل إن البحترى غالى في التبويب ، وتعمق في جمع النظير إلى النظير ، واضعاً شديد التشابه بعضه إلى جوار بعض ، في حماسه التي ستحدث عنها .

أما العلوم الدخيلة فهي أربعة أقسام : طبيعية ، كالكيمياء ، والطبيعة ، والطب ، والصيدلة ، والفلاحة ، وعلم الحيوان والنبات والحماة . ورياضية ، كالجبر ، والحساب ، والهندسة ، والحيل ( الميكانيكا ) ، والفلك ، والجغرافية النظرية . وإلهية ، وتشمل كل ما وراء الطبيعة : سياسية . كتنظيم الملك ، وتدبير المنزل ، وتدبير المال ، والأخلاق . وكانت الكتابة في هذه العلوم تتبع النهج الذي كتبت به في لغاتها ، ولذلك بقي نظامها وترتيب مسائلها كما وضعه

( ١ ) الردف : الراكب خلف الراكب . والأشهب : ما كان ذا بياض يخالطه سواد .

( ٢ ) الكامل للمبرد ٢ : ٢١٩ .

أصحابها ، وكانت الترجمة في أول أمرها ليست كما ينبغي ، لقلة من يجيد اللغتين : العربية . والأعجمية . فلما اتسعت الترجمة في زمن المأمون أقبلوا يصحّحون ما ترجموا من قبل . ويترجمون ما يجلبه إليهم المأمون من كتب الفلسفة التي أحضرها من القسطنطينية وغيرها من بلاد آسيا الصغرى<sup>(١)</sup> . وقد كان للفلسفة تأثير كبير في ذلك العصر ، فتأثرت بها العلوم الشرعية . وتأثر بها الأدب ، وقد ثار البحرى على من أراد أن يخضع الشعر لقواعد المنطق ، كما سرى .

أما الإنتاج الأدبي : شعره ونثره ، فإن الكتابة الإنشائية قد بلغت في هذا العهد شأواً بعيداً من الازدهار والتقدم . وكان لها ديوان يرأسه كاتب كبير ، يشرف على النهوض بها ، وكانت الكتابة حينئذ هي السبيل إلى الوزارة ، فوزراء المأمون والمعتصم والواثق من نوابغ كتاب عصرهم .

وكانت طريقة عبد الحميد الكاتب هي الطريقة التي سار عليها معظم الكتاب في هذا العصر ، فترى فيها قلة الكلف بالسجع ، والعناية قبل كل شيء بالمعنى . ولما جاء الجاحظ أولع بالتوازن الموسيقى في كتاباته ، فقسم العبارة أقساماً قريبة التساوى . وكانت ترجمة العلوم الدخيلة إلى اللغة العربية من الأسباب التي ثقت عقول الكتاب . فحاولوا استقصاء عناصر الموضوع . وترتيب هذه العناصر . وحسن التعليل . وإيراد الدليل . والحق أن تلك الطائفة التي ربيت في عصر المأمون قد تغذت بالبلاغة العربية . والآداب الدخيلة ، فتتج ذلك كله طرازاً ممتازاً في الكتابة العربية . وقد حفظ التاريخ أسماء طائفة من النابغين في الكتابة يومئذ مثل أحمد بن يوسف ، وعمرو بن مسعدة ، وابن الزيات . والجاحظ . والصولي . وآل وهب ، وبني المدبر ، والحسن بن محمد<sup>(٢)</sup> .

واستعملت الكتابة لأغراض شتى بين رسائل ديوانية تتعلق بإدارة الملك ، وتبدير شئون البلاد ، وهي الرسائل التي كان يشرف عليها ديوان الإنشاء ؛ وبين رسائل إخوانية ، ورسائل تناولت تناولاً أدبيّاً بعض الأمور الاجتماعية وغيرها

(١) تاريخ اللغة والآداب للسكندري ص ٥٣ .

(٢) ارجع في هذه الشخصيات إلى كتاب طيف الوليد .

كرسائل الجاحظ. كما ازدهر الشعر في النصف الأول من القرن الذي عاش فيه البحريّ،  
تحت كنف الخلفاء والوزراء، بل شارك بعضهم في قول الشعر، فما غنى به للمتصّر قوله:

رأيتك في المنام أقلّ بجلا      وأطوع منك في غير المنام  
فليت الصبح باد، ولا نراه      وليت الليل آخر ألف عام  
ولو أنّ النعاس يبساع بيعاً      لأغليت النعاس على الأنام<sup>(١)</sup>

وعرض على المهتدي يوماً دفاتر خزائن الكتب، فإذا على ظهر كتاب منها  
هذه الأبيات، قالها المعترّ بالله، وكتبها بخطه، وهي:

إني عرفت علاج الطب من وجع      وما عرفت علاج الحبّ والخدع  
جزعت للحبّ، والحمى صبرت لها      إني لأعجب من صبرى ومن جزعى  
من كان يشغله عن إلفه وجع      فليس يشغلنى عن حبكم وجعى  
وما أملّ حبيبى، ليتنى أبداً      مع الحبيب، ويا ليت الحبيب معى  
فقطب المهتدي بالله وجهه، وقال: حدث، وسلطان الشباب<sup>(٢)</sup>.

ولابن الزيات ديوان من الشعر، ومن الأمراء الشعراء أمراء البيت الطاهريّ،  
كعبيد الله<sup>(٣)</sup> بن عبد الله، الذي حدثت بينه وبين البحريّ محاورة شعرية،  
تجدّها في ديوانه

غير أنه مما يلحظ أن كبار الشعراء في تلك الحقبة نبغوا في عهد الاستقرار  
السياسي قبل مصرع المتوكل، فلما اضطربت الأمور باستبداد الأتراك لم  
ينجب العصر شعراء كهؤلاء الذين رأيناهم في عهد الاستقرار، وكان امتداد  
عمر هؤلاء مما جعل عهد الاضطراب الذي سقطت فيه الخلافة بعد المتوكل —  
عامراً بالشعر، وبعد موتهم أقفر الميدان من الشعراء الكبار.

وقد شهد القرن الذي عاش فيه البحريّ أبا تمام الذي أفرط في استخدام  
المحسنات البديعية، وغالى في حبّ هذه الصناعة، غير أنّ كثيراً من الشعراء  
الذين عاصروا البحريّ لم يفرطوا إفراط أبي تمام في ملء شعرهم بهذه الطريقة  
الجديدة في استخدام المحسنات.

(٢) المرجع السابق ص ٤٢٨.

(١) مروج الذهب ٣ : ٣٩٩.

(٣) راجع طيف الوليد ص ٥٦.



ولم تخرج أغراض الشعر يومئذ عن الأغراض التي عرفت قبل هذا العصر : من مدح ، وفخر ، وغزل ، وهجاء ، ورثاء ، ووصف ، وتهكم ... إلخ ، وازدهر في هذا العصر وصف الطبيعة ، ووصف مظاهر الحضارة التي ارتقت في العصر العباسي . ولقد كان الحديث عن الشعر والشعراء تعمر به مجالس الأدباء والخلفاء الأولين في ذلك العصر ، فينشدون الشعر ، ويوازنون بين الشعراء ، وفي الكتب الأدبية والتاريخية<sup>(١)</sup> التي تناولت هذا العصر كثير مما دار في هذه المجالس عن الشعر ، ونقده ، والموازنة بين الشعراء .

ومما يتصل بالشعر فن الغناء ، فبينهما صلة وثيقة ، وقد ظلت صناعة الغناء تتدرج حتى وصلت أوج كمالها في العصر العباسي عند إبراهيم بن المهدي ، المتوفى سنة ٢٢٤ هـ ، وإبراهيم الموصلي المتوفى سنة ١٨٨ هـ ، وابنه إسحق المتوفى سنة ٢٣٥ هـ ، وظل الاهتمام بها في أيام البحتري ، فكان الخلفاء والوزراء يشجعون المغنين ، ويتخذون منهم ندماء ، ويجزلون لهم في العطية ، وما علمنا خليفة أعرض عن سماع الغناء في هذا العصر إلا ما كان من المهتدي عقب توليته ، فإنه أخرج المغنين ، والقيان من «سامرا» ، كما سبق أن ذكرنا ، غير أن زمنه كان قصيراً . وكان استبداد الأتراك بشئون السلطان ، واستبداد الموفق بأخيه المعتمد ، مما ساعد على انصراف الخلفاء إلى اللهو واستماع الغناء . وفي هذا العصر ألف حسن بن موسى النصبي كتاباً في الأغاني ، منها كتاب ألفه للمتوكل ، قال عنه ابن النديم : « إنه ذكر في هذا الكتاب أشياء من الأغاني لم يذكرها إسحق ، وذكر من أسماء المغنين والمغنيات في الجاهلية والإسلام كل طريف وغريب »<sup>(٢)</sup> . تلك كانت حال الشعر والكتابة ، أما الخطابة فقد ضل أمرها ، بعد استقرار أمر الدولة . وكان لانتقال السلطان إلى أيدي الأتراك أثر في اضمحلال شأن الخطابة التي كادت تكون مقصورة على خطب الجمعة والأعياد ، وكان الخلفاء يلقونها بأنفسهم على المنابر ، إذ كانوا يخرجون إلى الصلاة في أبهة وزينة ، وإن كنا لا نعدم خطباً غير مسجدية ، كخطب صاحب الزنج التي كان يجمع بها الجموع ، يمنيهم بعذب الأمانى وحلو الوعود .

(١) راجع أخبار أبي تمام للصولي ، ومروج الذهب للمسعودي في أماكن كثيرة .

(٢) الفهرست لابن النديم ص ٢٠٨ .

## الفصل الثاني

### البحترى فى عصره

#### ١ - حياته

ولد البحترى فى العام السادس بعد المائتين هـ ، وسمّاه أبوه : الوليد ، وكناه بأبى عبادة ، ولكن الاسم الذى شهر به الشاعر فى عالم الأدب ، واستقر تحت شهرته اسمه وكنيته هو البحترى ، نسبة إلى بحتر أحد أجداده<sup>(١)</sup> .

والبحترى هو الوليد بن عبيد بن يحيى ، ويذكر له مؤرخوه سلسلة نسب تنتهى بطي<sup>(٢)</sup> ، فهو يمتى قحطانى من ناحية أبيه ، ولكنه عدنانى من ناحية أمه التى تنسب إلى شيبان ، وهى قبيلة ينتهى نسبها إلى ربيعة من عدنان<sup>(٣)</sup> ، وقد أخبرنا مؤرخوه بانحداره من طي<sup>(٤)</sup> ، وحدثنا هو بذلك فى كثير من شعره ، كقوله مفتخراً :

إنّ قومي قوم الشريف قديماً وحديثاً : أبوةٌ ، وجدودا  
ذهبت طيٌ بسابقة الحج على العالمين بأساً ، وجودا<sup>(٥)</sup>  
وأما أن أمه من شيبان فلم يحدثنا عنه التاريخ وإنما عرفنا به البحترى  
حين قال :

أعمرو بن شيبان ، وشيبانكم أبى إذا نسبت أُمى ، وعمركم عمرى  
وهو لذلك كان يعدّ ربيعة كلها أخواله فيقول :

أسيت لأخوالى : ربيعة ؛ إذ عفت مصايفها منها ، وأقوت ربوعها<sup>(٥)</sup>  
شهدت منبج ولادة البحترى ، وهى فى الشمال الشرقى من حلب ، وعلى

(١) وفيات الأعيان ٢ : ١٧٨ . (٢) المرجع السابق ص ١٧٥ .

(٣) راجع سلسلة نسب شيبان فى العقد الفريد ٢ : ٢٢٩ .

(٤) البأس : الشجاعة والقوة .

(٥) أسى : حزن . وعفا : امحى . وأقوت : خلت من سكانها .

بعد قريب من غربى الفرات ، يقول عنها ياقوت : « هي مدينة كبيرة واسعة ذات خيرات كثيرة ، وأرزاق واسعة ، في فضاء من الأرض ، كان عليها سور مبنى من الحجارة ، محكم . . . وشرب أهلها من قى تسيح على وجه الأرض ، وفي دورهم آبار ، أكثر شربهم منها ؛ لأنها عذبة صحيحة »<sup>(١)</sup> .

تلقى البحري ثقافته الأولى في منبج ، وهي لا تزيد عادة على حفظ القرآن ، وشيء من بليغ الشعر والنثر ، وتعلم أحكام الدين ، وسنة الرسول ، وأخذ طرف من علوم اللغة ، وأخبار الفتوح والمغازي ، وأيام العرب وأنسابهم .

وجرى الشعر على لسان الفتى ، لا يرجع فيه إلا إلى طبعه ، مما يدل على أنه ولد موهوباً تلك الملكة الشعرية ، فاستكثر من حفظ الشعر وترديده ، ويروى بعضهم أن البحري كان يمدح في منبج أصحاب البصل والباذنجان<sup>(٢)</sup> ، ونحن نشك في هذه الرواية ، لأن أسلاف البحري الذين حفظ نماذجهم لم يعرضوا شعرهم في السوق على مثل أصحاب البصل والباذنجان ، حتى يقتدى الشاعر بهم في هذا المجال ، وإذا كان الفتى يطمع أن ينال جزاء على شعره فليس لدى هؤلاء ما يطمع الشاعر أن يناله ، ولديه من ولاية المدينة ، وهم من بني هاشم<sup>(٣)</sup> ، من يستطيع أن يظفر عنده بما يشاء ، فضلاً عن أنه حين يمدح أمثال هؤلاء يعرض نفسه لسخرية ربما حطمت آماله في مطلع حياته ، وهو لا شك طامع في مستقبل كبير .

وجد البحري في نفسه هذه الموهبة الشعرية فأراد أن يصقلها ويهذبها ، على يد خبيرة مدربة ، فمضى يلتمس أبا تمام ، وكان يجلس بحمص للشعراء ، يعرضون عليه أشعارهم ، ويسألونه الرأي فيما يعرضونه عليه ؛ وبينما هو في طريقه إلى حمص مرّ بحلب ، وفيها فتن بفتاة تدعى : «علوة» ، ولا يلقى التاريخ شيئاً من الضوء على هذه الفتاة وأسرتها ، ولكن رسالة<sup>(٤)</sup> كتبها ابن بطلان المتطبب إلى هلال بن المحسن الصبائي في نحو سنة أربعين وأربعمائة هـ ، تحدثت عن دار

(١) معجم البلدان ٨ : ١٦٩ .

(٢) وفيات الأعيان ٢ : ١٧٥ .

(٣) المرجع السابق ص ١٧٨ .

(٤) معجم الأدباء ١٩ : ٢٤٩ .

« علوة » فهل يشعرنا هذا الحديث بأن لهذا البيت مكانة اجتماعية ، جعلت ذكره محفوظاً طول هذه المدة ، أو أن اتصال البحرىّ بعلوة هو الذى منح بيتها هذه الشهرة ، وحفظ اسمها ؟

وقد رسم لنا البحرى بعض صفاتها . فهمى :

بيضاء يعطيك القضيبي قوامها      ويرياك عينيها الغزال الأحور<sup>(١)</sup>  
تمشى ، فتحكم فى القلوب بدلها      وتميس فى ظل الشباب . وتخطر<sup>(٢)</sup>  
وهى حبيب :

مهفف يعطف الوشاح على      ضعيف مجرى الوشاح منهضمه<sup>(٣)</sup>  
يجذبه الثقل حين ينفض من      ورائه . والحفوف من أمه  
وظل الشاعر يذكر هذا الحب ، ويشتاق إلى حلب ، بعد أن رحل عنها ،  
ويحن إلى هذا العهد الذى قضاه فيها ، وكان لذلك أثر عميق فى غزله .

نزل البحرى حمص ، وعرض شعره على أبى تمام . فتوسم فيه النجابة ،  
ورأى عنده شاعرية حية ، فأقبل عليه ، وسرّ به . وظل البحرى بعدئذ على  
اتصال بأبى تمام الذى لم يبخل على الشاعر بالتوجيه . وشرح ما غمض عليه  
من ألوان القول ، وحفظ التاريخ بعض هذه الدروس<sup>(٤)</sup> .

ورحل البحرى إلى بغداد وسرّ من رأى ، فى عهد الواثق ، ينهج نهج  
أسلافه فى عرض شعره على رؤساء الدولة وكبار رجالها ، وأراد أن يتصل بوزير  
الحليفة : محمد بن عبد الملك الزيات ، فأنشأ قصيدة يمدحه فيها ، ويثنى على  
بلاغته ، حتى جعله يفوق فى الكتابة عبد الحميد الكاتب ؛ وقد تأنق الشاعر فى  
هذه القصيدة غاية التأنق ؛ لأنه كان يبنى عليها كبار الآمال ، فإليه قطع هذه  
الرحلة الطويلة ، وتنطق القصيدة بما كان فى قلب الشاعر من أمل وتفاؤل ، إذ يقول :

يا نديمى بالسواجير : من ودّ      بن معن ، وبحتر بن عتود<sup>(٥)</sup>

(١) حورت العين : اشتد بياض بياضها وسواد سوادها .

(٢) ماس : مشى وهو يتأيل ويشبخر . وخطر : مشى ، وهو يرفع يديه ، ويضعهما .

(٣) المهفف : الضامر البطن ، الدقيق الحصر . والمنهضم : الدقيق الكشح .

(٤) راجع العمدة ٢ : ٩٢ ، والأغانى ١٨ : ١٧٢ .

(٥) السواجير : جمع ساجور ، وهو نهر بمنبج .

اطلبا ثالثاً سوى ؛ فإنى رابع العيس . والدجى ، والبيد<sup>(١)</sup>  
 لست بالواهن المقيم ولا القا ثل يوماً : إن الغنى بالحدود<sup>(٢)</sup>  
 وإذا استصعبت مقادة أمر سهلتها أيدي المهارى القود<sup>(٣)</sup>  
 حاملات وفد الشناء إلى أب لمج ، صب إلى ثناء الوفود<sup>(٤)</sup>

ولكن الموت عاجل الواثق ، وأطاح المتوكل بالوزير ، فلم يطل اتصال  
 البحرى بابن الزيات ، ولكنه نجح في اتصاله بالخليفة : المتوكل ، فنال أقصى  
 ما يستطيع أن تتطلع إليه آمال شاعر في عصره ، ومضى البحرى ينشر للمتوكل  
 دعاية دينية قوية ، فلا تكاد تخلو قصيدة من قصائده من الحديث عن ناحية  
 دينية في الخليفة ، تجعله حبيباً إلى قلوب رعيته ، رفيع المكانة في نفوسهم . وصار  
 الشاعر لسان الخليفة ، يسجل أعماله ورغائيه ، ويصاحبه في رحلته إلى دمشق ،  
 وعودته منها ، ويناديه إذا أقبل الليل ، كما اتصل اتصالاً وثيقاً بمستشار الخليفة  
 ونديمه : الفتح بن خاقان ، وظلت هذه الصلة بينه وبينهما وطيدة ، زهاء خمسة  
 عشر عاماً ، كانت خير أيام حياته ، حتى قتل المتوكل في مجلس منادمة ، كان  
 البحرى فيه ، وقد هرب الشاعر<sup>(٥)</sup> ، وقيل : إنه نال نصيبه ضربة في ظهره ،  
 بقيت آثارها طول حياته<sup>(٦)</sup> . وثار البحرى لما رأى ، وأنشأ قصيدة رثاء للمتوكل ،  
 ندّد فيها بتآمر ولي العهد ، مع القتلة من الأتراك .

وظل الشاعر وفيّاً لذكرى الراحلين ، لا يكاد يلمّ به ما يؤله ، حتى يذكر  
 ما كان له من سعادة ومكانة في عهد المتوكل والفتح ، وما هو ذا تدفعه الحاجة إلى  
 مدح من لا يراه أهلاً للمدح ، فيقول في هجاء على بن يحيى الأرونى :

(١) العيس : كرام الإبل . والدجى : جمع دجية . وهى : الظلمة . والبيد : جمع بيدها ،  
 وهى : الفلاة .

(٢) الواهن : الضعيف . والحدود : جمع جد ، وهو الحظ .

(٣) المهارى : إبل تنسب إلى مهرة بن حيدان من عرب اليمن ، قالوا : إنها كانت لا يعدل  
 بها شيء في سرعة جريها . والقود : جمع أقود ، وهو : الدليل المنقاد .

(٤) الأبلج : المشرق الوضاح . والصب : المشتاق .

(٥) زهر الآداب ١ : ١٩٥ . (٦) البحرى : درس وتحليل ص ١٤ .



أمن بعد وجد الفتح بي : وغرامه ومتزلي من جعفر ومكاني<sup>(١)</sup>  
 أكلف مدح الأرمني على الذي لديه : من البغضاء والشنآن<sup>(٢)</sup>  
 نديمي ، لا زال السحاب موكلا يجود كما بالسح ، والهطلان<sup>(٣)</sup>  
 فلو كان صرف الدهر حرًا عدا كما إلى ، وما ناصبا كما ، وعداني<sup>(٤)</sup>

وبرغم أن الشاعر ندّد بالمنتصر في رثاء المتوكل لم يستطع أن يظل بعيداً عن قصر الخلافة ، فقد كان الشعر في تلك الأيام يعيش في كنف<sup>(٥)</sup> الخلفاء ، فعمل على الاتصال بالمنتصر ، وألقى بين يديه قصيدة مدح أشاد فيها بعدله وجميل عفوه .

واتصل البحري بالمستعين بعد المنتصر ، ولكن يبدو أن الصلة لم تكن قوية بينهما . فليس للبحري فيه سوى قصائد أربع ، قالها فيه طوال السنوات الأربع التي استقر فيها المستعين على عرش الخلافة ، على حين كان المستعين يعجب به ، ويرى شعره بارعاً . قال ابن خلكان : قال ميمون بن هرون : رأيت أبا جعفر أحمد بن يحيى بن داود البلاذري المؤرخ . فسأله ، فقال : كنت من جلساء المستعين ، فقصده الشعراء فقال : لست أقبل إلا ممن قال مثل قول البحري في المتوكل :

فلو أن مشتاقاً تكلف فوق ما في وسعه لمشي إليك المنبر<sup>(٦)</sup>  
 وفرح البحري بتولي المعتز بن المتوكل الخلافة ، وكان هوى البحري مع المعتز ، بعد مقتل أبيه المتوكل ، وكان المعتز موضع رجاء الشاعر في أن تثول إليه الخلافة . وامتلاً البحري بالأمل ، ونال ما يتمناه من مال ومكانة ، وإذا كان قد هجا المستعين بعد مدحه فقد كانت الحوادث التي جرت يومئذ تدفع إليه : فالبحري من أنصار المتوكل وأبنائه ، وكان المستعين يعدّ مغتصباً

(١) الوجد : الحب الشديد . (٢) الشنآن : البغض مع العداوة وسوء الخلق .

(٣) السح : صب الماء بتتابع وغزارة . وهطل المطر : سقط متتابعاً عظيم القطر .

(٤) صرف الدهر : نوائبه . وعدا كما : ترككما . وناصى الشيء : اتصل به .

(٥) كنف : كهف وظل وملجأ . (٦) وفيات الأعيان ٢ : ١٧٦ .

للخلافة من المعتز بن المتوكل ، وقد جرى التنافس على الخلافة في أيام المستعين ، فلا جرم كان التعرض للخليفة السابق والنيل منه ، عنصراً من عناصر مدح الخليفة الجديد .

واتصل البحترى بالمهتدى والمعتمد اتصالاً غير وثيق ، ويظهر أنه لم يمدح المستعين إلا لدافع قوى ، كأنه يستعدى به على ظالم ، أو يطلب إليه وضع الحراج عنه .

ولم يتصل الشاعر بالخلفاء والوزراء فحسب ، ولكنه اتصل بطائفة كبيرة من الولاة ، والأمراء ، وقادة الجيوش ، ورؤساء الكتاب ، ورؤساء ديوان الضياع ، وجامعى الحراج .

وكان البحترى محظوظاً في شعره ، ينال عليه جزيل العطاء ، حتى لقد تبلغ العطية الواحدة ألف دينار ، قال مرة يخاطب الفتح بن خاقان :  
هل الأمير مجدٌ في تفضله      فمنجزلى في الألف الذى وعدا  
وقال للخليفة المعتز :

وما ألف بأكثر ما أرجى      وآمل من نذاك إذا توالى  
وعاش البحترى في سرٍّ من رأى أيام كان في بطانة المتوكل والفتح ، وكان يختلف إلى منبج في الحين بعد الحين ، وكذلك كان في أيام المعتز ، فقد كان يستأذنه إذا أراد الذهاب إلى الشام ، فمن ذلك قوله يطلب منه أن يسمح له بشهرين يزور فيهما أهله بعد فرقة شتت شمله :

هل أطلعن على الشام مبجلاً      في عزّ دولتك الحديد المونق<sup>(١)</sup>  
شهران ، إن يسرت إذنى فيهما      كفلاً بألفة شملى المتفرق  
قد زاد في شوقى الغمام ، وهاجنى      زجل الرّواعد تحت ليل مطبق<sup>(٢)</sup>  
ولما كبر أقام في منبج ، حتى مات بها سنة ٢٨٤ هـ .

(١) الشام : لغة في الشام . المونق : الحسن المعجب .

(٢) زجل : رفع صوته وأجلب .

## ٢ - صورته الجسمية والنفسية

ليس لدى ما يرسم صورة البحترى ، ولكنى أرجح أن وجهه وجسمه لم يكن بهما قبح أو عاهة ظاهرة ، وأنه كان أميل إلى النحافة منه إلى البدانة ، وأن لحيته ربما كانت طويلة .

ورجحت أنه لم يكن به قبح ولا عاهة ظاهرة من هجاء ابن الرومى له : فابن الرومى معروف بمقدرته على التهم من أصحاب الخلق الممسوخة ، والذين بهم عاهات وانحرافات جسمية ، ولم نره في هجائه للبحترى ذكر عيباً جسيماً يتخذ من مادة للسخرية به سوى وصفه له بأنه ذو لحية طويلة ، إذ يقول :

البحترى ذنوب الوجه نعرفه      وما رأينا ذنوب الوجه ذا أدب<sup>(١)</sup>  
أولى بمن عظمت في الناس لحيته      من نحلة الشعر - أن يدعى أبا العجب  
ما كنت أحسب مكسوراً بلحيتيه      يعنى من القفد ، أو يدعى بلا لقب<sup>(٢)</sup>  
فلو كان به عيب في وجهه ، أو جسمه ، أو مشيته لما فات ابن الرومى تسجيله .

وأما نحافته فقد رجحتها لقوله :

فإن تلقى نضو العظام فإنها      جريرة قلبى ، منذ جرت على جسمى<sup>(٣)</sup>  
وربما لم يكن الشاعر صادقاً ، كبشار الذى يقول :

إن في بردى جسماً ناحلاً      لو توكأت عليه لانهدم  
مع أننا نعلم أن بشاراً كان ضخماً الجثة ، مكتنزاً لحماً وشحمًا .

هذا ، وربما كان البحترى على شيء من الوسامة ، فإنه ينسب إلى قومه من اليمن الفصاحة ونضارة العود ، إذ يقول :

نحن أبناء يعرب أعرب الناس      س لساناً وأنضر الناس عوداً  
ويروى صاحب الأغاني<sup>(٤)</sup> أن البحترى كان من أوسخ خلق الله ثوباً .

(١) ذنوب الوجه : في وجهه ذنب ، يعنى لحيته .

(٢) القفد : الصفع .

(٣) النضو : المهزول . والجريرة : الذنب . وجرت : ظلمت .

(٤) ١٨ : ١٧٠ .

ونحن نشكّ في هذه الرواية ، ويؤكد شكنا أنه كان يجالس الخلفاء والوزراء وكبار رجال الدولة ، وهؤلاء ، ولا ريب ، ينفرون من وسخ الثياب ، بل تؤكد أنه كان نظيف الثوب نظافة يستطيع بها أن ينادم خليفة ، وأن يمنحه الخليفة بعض خلعه ، كما يدلّ على ذلك قول البحرى للمعتر :

وأكثر زادي من بدور تتابعت لجودك ، فيهن اللجين المطرق<sup>(١)</sup>  
ومن خلع فازت بلبسك ، فاغتدى لها أرج من طيب عرفك يعبق<sup>(٢)</sup>  
ويروى صاحب الأغاني أيضاً أن البحرى كان « أبغض الناس إنشاداً :  
يتشادق ، ويتزاور في مشيته : مرّة جانباً ، ومرّة القهقري ، ويهزّ رأسه مرّة ،  
ومنكبيه أخرى ، ويشير بكمه ، ويقف عند كل بيت ، ويقول : أحسنت  
والله ، ثم يقبل على المستمعين ، فيقول : ما لكم لا تقولون : أحسنت ، هذا  
والله ما لا يُحسنُ أحد أن يقول مثله » . وقد كلفه ذلك أن سخر منه أحد  
ندامي الخليفة المتوكل وهو أبو العنيس الصيمري ، وصنع بإغراء الخليفة شعراً  
ساخراً ماجناً ، على وزن قصيدة البحرى التي كان ينشدها ، ولم يكد البحرى  
يتمّ إنشاد قصيدته حتى ألقي عليه القصيدة الساخرة به<sup>(٣)</sup> .

(١) اللجين : الفضة . وطرق المعلن : رققه .

(٢) الأرج : الريح الطيبة ، كالعرف . وعبق المكان بالطيب : انتشرت رائحة الطيب فيه .

(٣) الأغاني ١٨ : ١٧٣ . أما قصيدة البحرى في المديح فقد كان مطلعها :

عن أي ثغر تبسم وبأي طرف تحتكم

ومنها :

قل للخليفة جعفر الـ	متوكل بن المعتصم
المجتدى	والمعتمد بن المنتقم :
اسلم لدين محمد	فإذا سلمت فقد سلم

وأما القصيدة الساخرة فقد جاء فيها :

والله حلقة صادق	وبقبر أحمد والحرم
وبحق جعفر الإما	م ابن الإمام المعتصم
لأصيرنك شهرة	بين المسيل إلى العلم
حيث الطلول بنى سلم	حيث الأراكة والحيم
يا ابن الثقلة والثقي	ل على قلوب ذوي النعم ...

نشأ البحرى فقيراً ، كما اعترف بذلك فى شعره ، إذ يقول :  
وعيرتنى سجال العدم جاهلة والنبع عريان ، ما فى فرعه ثمر<sup>(١)</sup>  
ولكنه لم يدع هذه النشأة تحول بينه وبين نيل الغنى ، حتى صار له قهارة  
وكتاب<sup>(٢)</sup> ، وامتلك قرية كانت موقوفة على أولاده بباب منبج<sup>(٣)</sup> .  
والسرّ فى ذلك يعود إلى ما كان بين جنبيه من عزيمة قويّة ، وهمة تكلفه  
الجليل ، وتحمله على المشاق ، فعزيمته القويّة هى التى دفعته إلى الرحلة والأسفار .  
وقد قام البحرى بالكثير منها ، لا يثنيه عنها إلا أن ينال أمله ، وتسمع روح  
عزمه ومضائه فى قوله :

فإنى إن أزمع غدواً لطية أغلس<sup>(٤)</sup> ، وإن أجمع رواحاً أهجر<sup>(٥)</sup>  
هذه العزيمة قد اقترن بها طموح لا يرضى بالواقع ، ولا يقنع بما بين يديه ،  
وكانت حياته دليلاً على ذلك ، وقد صوّر لنا ذلك الطموح إذ يقول :  
وأرى همى تكلفى لأمور خفيفهن ثقیل<sup>(٦)</sup>  
ولو أنى رضيت مقسوم حظى لكفانى من الكثير القليل<sup>(٦)</sup>  
وكان يعتقد أن الضعيف الواهن هو هذا الذى إن وجد أدنى ما يكفيه فقد  
عزيمته ، ورضى بما نال :

والفصل يسابه عزيمته أدنى وجود كفاية تسعه<sup>(٥)</sup>  
لا يلبث الممنوع تطلبه حتى يثوب إليك ممتنعه<sup>(٦)</sup>  
فهو لا يرى القناعة فى المجد والغنى فضيلة ، ولا يرى أن يلقى المرء بالسلاح ،  
وهو فى ميدان الجهاد لنيل الآمال ، إذا عرضت له صعوبة ؛ لأن العزيمة  
القوية تذللها :

(١) النبع : شجر تتخذ منه السهام والقسي .

(٢) العمدة ١ : ٦ . والقهارة : جمع قهرمان وهو : الوكيل أو أمين الدخل والخرج . والكلمة

من الدخيل .

(٣) وفيات الأعيان ٢ : ١٧٩ .

(٤) أزمع الأمر : أظهر فيه عزمًا . والغدر : التبكير . والطية : النية والحاجة . وغلس :

مشى فى ظلمة آخر الليل . وأجمع : أعزم . والرواح : الذهاب فى العشى . وأهجر : أمشى فى الهاجرة ،  
وهى : نصف النهار فى القيظ .

(٥) الفصل : الضعيف لا رأى له . (٦) يثوب : يعود .



ما زال لي من عزمي وصريتي      سستد يثبت وطأتي أن تدحضا<sup>(١)</sup>  
 لست الذي إن عارضته ملمة      ألقى إلى حكم الزمان وفوضا<sup>(٢)</sup>  
 وكان يؤمن بأن الواجب هو العمل والجهاد ، أما النتائج فليس إليه أمرها :  
 ذريني من ضرب القداح على السرى      فعزى لا يثنيه نحس ولا سعد<sup>(٣)</sup>  
 سأحمل نفسي عند كل ملمة      على مثل حد السيف أخلصه الهند  
 فإن عشت محموداً فمثلي بغى الغنى      ليكسب مالا ، أو ينث له حمد<sup>(٤)</sup>  
 وإن مت لم أظفر فليس على امرئ      غداً طالباً إلا تقصيه والجهد<sup>(٥)</sup>  
 ومع ذلك كان البحري متفائلاً ، لا يرى الشدائد دائمة لا تريم ، ولكنها  
 عما قليل تنجلي :

هل الدهر إلا غمرة وانجلاؤها      وشيكاً ، وإلا ضيقة وانفراجها<sup>(٦)</sup>  
 تقضى الهموم ، لم يلبث طروقها      زماعي ، ولم يغلق على رتاجها<sup>(٧)</sup>  
 كان البحري عارفاً بقدر نفسه ، مغروراً بشعره ، يقول لأحد ممدوحيه :  
 وأعلم أن السبل ما فاجأتكم      بزور من الأقوام مثلي ، ولا وفد<sup>(٨)</sup>  
 وكانت معرفته بقدر نفسه تدعوه إلى البعد عن مواطن الإهانة ، ولقد ثار  
 عندما أهين في مجلس المتوكل ، وعزم على أن يعود إلى بلده ، مضحياً بالمال  
 والجاه<sup>(٩)</sup>.

(١) الصريمة : العزيمة . ودحض : زلق .

(٢) عارضه : قاومه . والملمة : النازلة الشديدة .

(٣) ذريني : دعيني . والقداح : جمع قدح ، وهو : السهم ، وكان للقداح أسماء ، وكان من عادة العرب أن يستشيروا هذه السهام قبل أن يقوموا بأعمالهم ، فإن خرج لهم السهم الرابع انصرفوا إلى العمل ، وإلا انصرفوا عنه . والسرى : سير الليل . وثناه : صرفه عن حاجته .

(٤) نث الحمد : أفشاء .

(٥) تقصى الشيء : بلغ الغاية في البحث عنه . والجهد : الطاقة .

(٦) الغمرة : الشدة . والوشيك : السريع . والانفراج : الانكشاف .

(٧) تقضى : تنتهى . يلبث : يؤخر . وطروقها : ورودها . والزماع : الثبات والعزم .

والرتاج : الباب المغلق .

(٨) راجع الأغاني ١٨ : ١٧٣ و ١٧٤ .

(٩) الزور : السيد والرئيس .

هل كان البحترى بخيلاً ؟ مضى أكثر المؤرخين على أنه بخيل ، ويروون ما يدل على بخله<sup>(١)</sup> ، ووقف صاحب<sup>(٢)</sup> البحترى موقف المنكر على المؤرخين هذا الزعم ، واجدأ في شعر الشاعر ما يثبت كرمه ، كقوله للمتوكل :

مَنْ شَاكَرَ عَنِي الْخَلِيفَةَ فِي الَّذِي      أُولَاهُ : مِنْ طَوَّلٍ ، وَمِنْ إِحْسَانٍ<sup>(٣)</sup>  
حَتَّى لَقَدْ أَفْضَلْتُ مِنْ أَفْضَالِهِ      وَرَأَيْتُ نَهْجَ الْجُودِ حَيْثُ أَرَانِي<sup>(٤)</sup>  
مَلَأْتُ يَدَاهُ يَدِي ، وَشَرَّدَ جُودَهُ      بِخُلِي ، فَأَفْقَرَنِي ، كَمَا أَغْنَانِي  
وَوَثَّقْتُ بِالْخَلْقِ الْجَمِيلِ مَعْجَلًا      مِنْهُ ، فَأَعْطَيْتُ الَّذِي أَعْطَانِي  
وقوله للفتح بن خاقان :

أَعْنِ عَلَى كَرَمٍ أَخْنَى عَلَى نَشْبِي      وَهَمَّةٌ اخْلَقْتَ أَخْلَاقِي الْجَدَّادَا<sup>(٥)</sup>  
ويروى عن القاضي التنوخي في نشوار المحاضرة أن المعتز بعدما استتبت له الخلافة ، ودخل عليه البحترى ، وأنشده ، أعطاه ستة آلاف دينار ، وقال له : وكأنتي بك وقد بادرت ، فاشتريت غلاماً وجارية وفرساً وفرشاً ، فأتلقت المال . لا تفعل ؛ فإن لك فيما تستأنفه من أيامك معنا ، ومع وزرائنا ، وأسبابنا ، إذا علموا موقعك منا ، غناء عن ذلك<sup>(٦)</sup> .

ونحن مع صاحب البحترى ، لا نرى الشاعر بخيلاً ، معتمدين في ذلك لا على شعره الذي يتحدث فيه عن كرمه ، فكثيراً ما يقول الشعراء « لا يفعلون . ولكننا نعتمد على قصيدة ابن الرومي الذي ما كان يمكن أن يفوته تسجيل هذا الخلق ، الذي أبدع في تصويره ، حين قال يهجو :

يَقْتَرِ عَيْسَى عَلَى نَفْسِهِ      وَلَيْسَ يَبَاقُ وَلَا خَالِدُ  
وَلَوْ يَسْتَطِيعُ لَتَقْتِيرَهُ      تَنْفَسُ مِنْ مَنْخَرٍ وَاحِدُ

(٢) جرجس كنعان ص ١٩ .

(١) المرجع السابق ص ١٧٠ .

(٣) الطول : الفضل والعطاء .

(٤) أفضل عليه : أناله من فضله ، وأحسن إليه . والنهج : الطريق الواضح .

(٥) النشب : المال . وأخنى عليه : أهلكه . وأخلق الثوب : صيره بالياً .

(٦) البحترى ص ١٩ .

ولا سيما أن البحترى كان يغيظه ؛ فيرسل إليه صرة من المال عقب كل هجاء ينظمه ابن الرومي فيه ؛ فكانت الفرصة سانحة لتسجيل ابن الرومي هذا البخل ، ولكنه لم يفعل .

أما ما أورده صاحب الأغاني من هجائه لضييف تناول الطعام عنده ، وتقتيره على أخ له و غلام ، فقد يكون لسوء تناول الضييف للطعام ، أو لشدة شراسته ، ولبطالة أخيه و غلامه ، وأنهما لا يجيدان عملاً يستحقان عليه الطعام . من أخلاق البحترى الشجاعة ، وقد حارب تحت لواء بعض القواد ، وقال له من قصيدة :

وأنا الشجاع ، وقد بدا لك موقى بعقرقس ، والمشرقية شهدي<sup>(١)</sup>  
ورأيتني ، فرأيت أعجب منظر ربّ القصائد في القنا المتقصد<sup>(٢)</sup>  
كما كان يحب الأخذ بالثأر ، وقصيدته التي قالها عقب مقتل المتوكل ،  
وتلك التي قالها بعد مقتل يوسف الثغري أحد قواد المسلمين في حرب الروم ،  
فيهما دلالة على تمكن هذا الخلق فيه .

كان البحترى يؤمن بالعقيدة التي بينها عمر بن الخطاب في قوله : « لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ، وهو يقول : اللهم ، ارزقني ، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ، ولا فضة » ، ولذا كان برغم إيمانه بالقضاء والقدر ، وتعييره من لا يدين بهما ، كقوله في هجاء أحمد بن صالح :

«عليج» ، يدين بأن لا إله وأن لا قضاء ، وأن لا قدر  
لم يدع هذه العقيدة تحول بينه ، وبين الجدة في طلب المال والغنى . إذ يقول :

لست بالواهن المقيم ، ولا القا ثل يوماً : إن الغنى بالجدود<sup>(٣)</sup>  
والنجاح ، كما يؤمن به البحترى ، مرهون بالجد والعمل :  
والرزق لليقظ المشبع رأيه بالعزم ، لا للعاجز المأفون<sup>(٤)</sup>

(١) عقرقس : اسم واد في بلاد الروم . معجم البلدان ٦ : ١٩٦ . والمشرقية : السيوف .

(٢) المتقصد : المنكسر .

(٣) الجدود : الحظوظ .

(٤) المأفون : ضعيف الرأي .

وعقيدته في الرزق هي التي جعلته يشرق في البلاد ويغرب ، ويجوب  
أرجاء قسم عظيم من المملكة الإسلامية :

تقاذفُ بي بلاد عن بلاد كأنى بينها جمل شرود<sup>(١)</sup>  
وبالسا جور من ثعل بن عمرو صناديد<sup>(٢)</sup> من الفتيان صيد<sup>(٣)</sup>  
إذا سجع الحمام هناك قالوا لفرط الشوق : أين ترى الوليد؟<sup>(٤)</sup>  
وما كان يطمئن به المقام إلا حيث يجد السعادة والحظ الجزيل :  
وأحب آفاق البلاد إلى الفتى أرض ينال بها كريم المطلب

### ٣ - علاقته بعصره

رأينا أن البحري قد اتصل بخلفاء بني العباس ورجال دولتهم ، وكان  
الشاعر يتشيع لبني العباس ، ويرى خلافتهم حقاً لا مرية<sup>(٥)</sup> فيه ، وقد يبالغ  
في ذلك ، حتى يعدّ خارجاً على الإسلام هذا الذي لا يعتقد أن خلافة العباسيين  
حق ، ولو صام وصلى ، فهم أبناء العباس عم النبي ، استسقى به عمر بعد أن  
حبس المطر عن المدينة :

شرفاً بني العباس ، إن أباكم عم النبي ، وعيصه المتفرع<sup>(٥)</sup>  
وأرى الخلافة ، وهي أعظم رتبة حقاً لكم ، ووراثته ما تنزع  
أعطاكموها الله عن علم بكم والله يعطي من يشاء ويمنع  
ويقول :

مخالف أمركم لله عاص ومنكر حقكم لاق أثاماً  
وليس بمسلم من لم يقدم ولايتكم ، ولو صلى ، وصاماً  
أما بنو أمية فقد طلبوا الخلافة فجوراً وفسقاً ، ولذا هو بهيج برجوع الأمر

(١) شرود : نافر .

(٢) الساجور : نهر بمنبج . وصناديد : جمع صناديد ، وهو : السيد الشجاع . والصيد : جمع  
أصيد وهو المتكبر .

(٣) سجع : غنى . (٤) المرية : الجدل والشك .

(٥) العيص : الأصل ، ومنبت خيار الشجر .

إلى العباسيين ، لأن الأمر عاد إلى أهله بينما استقر الهوان في بني مروان :  
 وأنتم بنو العباس عم محمد  
 لكم إرثها ، والحق منها ، ولم يكن  
 وإن بني حرب ومروان أصبحوا  
 يغضون أبصاراً مغيضاً ضميرها  
 ولكنها لم يكن ناصبياً كذلك<sup>(٤)</sup> ، برغم أنه قد جالس المتوكل الذي كان  
 يكره علي بن أبي طالب . ويتهج لمن يسبه ، ويغدق العطاء على من ينظم الشعر  
 في هجائه . ولم نعثر في شعر البحتري أيام المتوكل أو غيره على ما يدلنا أنه  
 خاض في علي وسبه ، بل لعله كان يتألم لما أصاب العلويين في ذلك العهد من  
 اضطهاد وظلم ، حتى إذا جاء المنتصر ، ورد الحقوق إليهم ، فرح الشاعر ،  
 وأثنى عليه بذلك ، بل كان يحنو على علي بن أبي طالب ويعظمه ، ويراه أحق الناس  
 بالخلافة بعد رسول الله . ذه بعض معاصريه علي بن أبي طالب ؛ فقال له البحتري :  
 يا سواتنا من رأيك العسازب وعقلك المستهتر الذاهب<sup>(٥)</sup>  
 إن وقفت سوقك ، أو أكسدت بضاعة من شعرك الخائب<sup>(٦)</sup>  
 أنحيت ، كي تنفقها ، زارياً على علي بن أبي طالب<sup>(٧)</sup>  
 ويقول :

كنا نكفر من أمية عصبية  
 ونقول : تيم قربت ، وعدتها  
 ونلوم طلحة والزبير كليهما  
 طلبوا الخلافة فجرة ، وفسوقا  
 أمراً بعيداً حيث كان سحيقاً<sup>(٨)</sup>  
 ونعنف الصديق والفاروقا

(١) انتحل الشيء : ادعاه لنفسه ، وهو لغيره .

(٢) عراهم : ألم بهم . والنكال : ما يجعل عبرة للغير .

(٣) الكادل : التعب والإعياء .

(٤) الناصبي : هو من ناصب أهل البيت العداء .

(٥) العازب : الغائب . والمستهتر : كثير الأباطيل .

(٦) أكسدت : كسدت .

(٧) أنحى عليه : أقبل عليه . وزاريا : عائياً .

(٨) تيم : قبيلة أبي بكر الصديق . وعدى : قبيلة عمر بن الخطاب . والسحيق : البعيد .



وهم قريش الأبطحين إذا انتموا طابوا أصولاً فيهم وعروقا  
 فهو يعدّ الأمويين عصابة كافرة فاجرة ، ويرى أبا بكر وعمر قد نالا  
 أمراً بعيداً ما كان لهما أن ينالاه ، ويلوم طلحة والزبير لأنهما خرجا على بيعة  
 على . وذلك مع إيمانه بأن هؤلاء جميعاً يقفون في القمة من قريش .  
 كان رأى البحتريّ في الأحداث السياسية رأى من بيده الغلب والسلطان ،  
 وذلك طبعاً لشاعر يتكسب من شعره ، وليس له مورد رزق سوى هذا الشعر ،  
 فإذا عزم المتوكل على الانتقال إلى دمشق ، واتخاذها عاصمةً للملكة ، مضى  
 البحتريّ يمدحها ، ويلمز العراق ، ويقول :

قد رحلنا عن العرا	ق ، وعن قطبها النكد
حبذا العيش في دمش	ق ، إذا ليلها برد
حيث يستقبل الزّما	ن ، ويستحسن البلد
سفر جدّدت لنا الا	هو أيامه الجدد
عزم الله للخلي	فة فيه على الرشد

فإذا أزمع العودة إلى العراق أخذ الشاعر يطرى هذه العودة قائلاً :

أتى من بلاد الغرب في عدد النقا	نقا الرمل من فرسانه ونخيوله <sup>(١)</sup>
فأسفر وجه الشرق ، حتى كأنما	تبليج فيه البدر بعد أفوله <sup>(٢)</sup>
وقد لبست بغداد أحسن زيا	لإقباله ، واستشرفت لعدوله <sup>(٣)</sup>
ويشنيه عنها شوقه ونزاعه	إلى عرض صحن الجعفرى وطوله <sup>(٤)</sup>
إلى منزل فيه أجاؤه الألى	لقاؤهم أقصى مناه وسوله
محلّ يطيب العيش رقة ليله	وبرد ضُحاه ، واعتدال أصيله <sup>(٥)</sup>

(١) النقا : القطعة من الرمل المحدودة .

(٢) سفر : أضاء . وتبليج : ظهر ، واتضح . والأفول : الغروب .

(٣) استشرف الشيء : رفع بصره لينظر إليه . وعدوله أى تركه رأيه الأول في اتخاذ دمشق

عاصمة له .

(٤) ثناء عنه : كفه وصرقه . والنزاع إلى الشيء : الشوق إليه . والجعفرى : قصر بناء المتوكل

في سر من رأى . (٥) الأصيل : الوقت بين العصر والمغرب .

ونراه إذا ولَّى المتوكل أبناءه الثلاثة أولياء للعهد، يعلن اغتباطه بذلك قائلاً :  
 حاط الرعية حين ناط أمورها بثلاثة بكروا ولاية عهود  
 كانوا أحقّ بعقد بيعتها ضحى وبنظم لؤلؤ تاجها المعقود  
 مع أن حادث الرشيد في تولية بنيه الثلاثة ولاية العهد ، وما جرّه ذلك من  
 حروب بين الأمين والمأمون — كان لا يزال حيّاً في النفوس ، جديراً أن يصرف  
 الخلفاء عن تكريره .

ولما أراد المستعين تولية ابنه العباس ولاية العهد قال البحرى :  
 وحسبك أنه في كلّ حال شبيهك يا أمير المؤمنين  
 يُسرّ المسلمون بأن يروه لديك وليّ عهد المسلمين  
 فجدد عقد بيعته تجدد لهم خفضاً من الدنيا ولينا<sup>(١)</sup>  
 سيطرت روح العصر على البحرى ، فدفعته إلى حبّ المال ، ليستمتع  
 بلذائذ الحياة ، ودفعه حبّ المال إلى إرضاء من بيده السلطان ، فربما هجا اليوم  
 من مدحه بالأمس ، أو مدح اليوم من هجاه بالأمس : هجا المنتصر ودعا  
 عليه ألا يهنأ بالخلافة ، ثم مدحه : ومدح ابن الحصيب الذى كان وزيراً  
 للمستعين ، فلما غضب عليه الأتراك . واستصفوا ماله ، حرّض الخليفة عليه فقال :  
 لابن الحصيب الويل ؛ كيف انبرى بإفكه المودى ، وإبطاله<sup>(٢)</sup>  
 كاد أمين الله في نفسه وفي مواليه وفي آله<sup>(٣)</sup>  
 فأنزل الله به نقمة غيرت النعمة من حاله  
 يا ناصر الدين ، انتصر موشكاً من كائد الدين ومغتاله  
 فهو حلال الدّم والمال ، إن نظرت في باطن أحواله  
 ومدح المستعين ، فلما آلت الخلافة إلى المعتر هجاه .

أحبّ البحرى المال ، وأخذ عن المترفين من أهل عصره أيضاً حبّ

(١) خفض العيش : سهل ، وكان هنيئاً .

(٢) انبرى : تعرض . والإفك : الكلب . والمودى : المهلك . وأبطل الرجل : أتى بما  
 لا حق له فيه .

(٣) كاده : مكر به وخدعه . ويريد بأمين الله : الخليفة . وبالموالى : جنده .

الاستمتاع بالحياة ، والتنعم بلذائذها ، وقد حفظ لنا في شعره صورة من صور  
لهوه ومرحه ، فهو محبّ لابنة الكرم ، مولع بالغناء ، مغرم بالساقى الجميل ،  
فهو يذكر المدام في الربيع وفي الخريف ، وحين تدجن السماء وتتراكم السحب .  
متخذاً من الطبيعة نفسها مغرباً له على رشف الكئوس ، وكانت أيام العيد  
والمهرجان فرصاً سانحة للبحترى يقضيها بين الخمر والغناء ، ولم يكن لديه  
شيء يسره أكثر من جلسة على ضفاف نهر ، يحيط به الورد والزهر ، حيث  
الماء والسماء ، والنسيم العليل يحمل أريج الأزهار ، ويختلط ذلك كله بالغناء  
وشرب الراح ، فيطرب ما شاء له الطرب ، وقد يجد من تمام سعادته أن يبعث  
إلى المخلصين من أصدقائه راجياً منهم أن يشاركوه في هنائه بحضور مجلسه .

وهكذا اتصل البحتري بسياسة عصره ، واتخذ مذهب المترفين من أهل  
هذا العصر مذهباً له ، كما شارك الطبقة المثقفة في الأخذ بنصيب كبير من  
الثقافة الشائعة يومئذ ، فإنه لم يقف عند الحدود التي نالها في نشأته الأولى ، بل  
ظفر بحظ كبير من علوم أهل عصره .

أما علمه باللغة فيكفي أن ترجع إلى ديوانه وحماسته ، لتعرف مقدار علمه  
بها ، وعنايته بأمرها ، عناية جعلته دقيقاً فيما يستخدمه من الكلمات .  
وكان علمه بالنحو وقواعد التصريف ضرورياً لشاعر يريد أن يأخذ  
مكانته بين شعراء عصره ، وبخاصة في هذا العصر الذي شاع فيه اللحن ، وصار  
من الضروري لمن يريد التفوق في الأدب أن يدرس النحو والصرف ، ليسلم  
من الخطأ ، فينجو من ألسنة الناقدين ، وإن كان لم يتعمق في تلك القواعد ،  
فالتعمق فيها ليس في مذهبه من مهام الأديب .

عصمته هذه الدراسة من الخطأ ، مضافاً إليها نشأته في منبج وباديتها ،  
حيث الأعراب الذين لم تكن لغتهم قد فسدت بعد . ولهذا قلت مآخذ النقاد  
عليه من هذه الناحية<sup>(١)</sup> ، وكانت الضرورة هي التي دفعته إلى مثل مدّة  
المقصود وقصر الممدود ، وقطع همزة الوصل ، ووصل همزة القطع ، وما إلى ذلك .

(١) ذكر أبو العلاء المعرى هذه الأخطاء في كتابه : عبث الوليد .

ومما لا ريب فيه أن البحترى كان لا يجهل وزن الشعر ، ولا علم عروضه وقوافيه ، وقد وضع الخليل بن أحمد أسس علمهما ، وعنى الناس بهما ، لطرافتهما ، وقد سلم شعر البحترى في جملة عن عيوب العروض والقافية ، إلا هنات نرجح أنها حدثت من التحريف وقع في رواية شعره ، كهذا البيت ، إذ ورد :

ولماذا تتبع النفس شيئاً جعل الله الفردوس منه بواء<sup>(١)</sup>

فالرواية الصحيحة لهذا البيت ما نقله الأمدى في كتابه : «الموازنة» ، وهي :

« جعل الله الخلد منه بواء »<sup>(٢)</sup> .

واتصل البحترى اتصالاً وثيقاً بالأدب الموروث والأدب المعاصر ، وكان من نتائج اتصاله بالأدب الموروث أن اختار كتابين منه سوف نتحدث عنهما ، كما كان يعنى بأن يقف بنفسه على مواطن القوة أو الضعف في الشعر : حكى عن البحترى أنه قال : فاوضت على بن الجهم<sup>(٣)</sup> في الشعر ، وذكر أشجع السلمي<sup>(٤)</sup> ، فقال : إنه كان يخلى ، فلم أفهمها عنه ، وأنفت أن أسأله عنها ،

(١) البواء : المساوى . (٢) الموازنة بين الطائيين ص ١٧٦ .

(٣) على بن الجهم : شاعر مجيد عالم بفنون الشعر ، اختص حقبة من الزمن بالمتوكل ، ثم هجاء ، فنفاه إلى خراسان وكتب إلى طاهر بن عبد الله أنه إذا ورد عليه صلبه يوماً ، فوصل إلى شاذياخ نيسابور ، فحبسه طاهر ، ثم أخرجه ؛ فصلبه مجرداً نهراً كاملاً ، فقال في ذلك :

لم ينصبوا بالشاذياخ صبيحة الـ إثنين مسبوفاً ولا مجهولاً  
نصبوا بحمد الله ملء قلوبهم شرفاً وملء صدورهم تبجيلاً

ثم رجع إلى العراق فإلى الشام ، ثم خرج من حلب متوجهاً إلى العراق فخرجت عليه وعلى جماعة معه خيل من بني كلب فقاتلهم قتالاً شديداً ولحقه الناس وهو جريح بأخر رقب . وتوفي في بغداد سنة ٢٤٩ هـ ولما نزلت ثيابه بعد موته وجدت فيها رقعة فيها قد كتب فيها :

وارحمنا للغريب في البلد الـ نازح ماذا بنفسه صنعنا  
فارق أحبابه فما انتقموا بالعيش من بعاء ، ولا انتقمنا  
كان عزيزاً بقرب دارهم حتى إذا ما تباعدوا خشعنا  
يقول في نأيه وغربته عدل من الله كل ما صنعنا

وله ديوان شعر نشر أخيراً في دمشق بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك .

(٤) أشجع السلمي : هو أبو الوليد أشجع بن عمرو السلمي من بني سليم : شاعر فحل ، كان معاصراً لبشار . ولد باليمامة ، ونشأ في البصرة ، ومدح البرامكة ، وانقطع إلى جعفر بن يحيى ، فقربه من الرشيد ، فأعجب به الرشيد ، فأثري ؛ وحسنت حاله ، وعاش إلى ما بعد وفاة الرشيد .



فلما انصرفت فكرت فيها ، ونظرت في شعر أشجع ، فإذا هو ربما مرت له الأبيات مغسولة ، ليس فيها بيت رائع <sup>(١)</sup> .

وعرف البحريّ ما وصل إليه من تاريخ العرب ، وبخاصة قومه طيء ، وقد أخذ المعري عليه قوله :

ومن إرثكم أعطت صفية مصعباً      جميل الأسى ، لما استحلت محارمه  
علق أبو العلاء على هذا البيت ، فقال : « بنى أبو عبادة هذا المعنى على أن صفية ابنة عبد المطلب كانت توصف بالصبر ، ولم يرو عنها شيء من ذلك ، بل ذكر أن ولدها الزبير بارز رجلا بين يدي النبيّ فجزعت من ذلك ، وقالت يا رسول الله ، يقتل ابني ، فقال : ابنك يقتله ، فقتله الزبير . وإنما الموصوفة بالتصبر أسماء ابنة أبي بكر ، وهي أم عبد الله بن الزبير . وليست أم مصعب » <sup>(٢)</sup> .  
هذا وقد جرى كثير من المؤرخين للبحريّ على أنه لم يدرس الفلسفة ، ولا مسائل المنطق ، مستدلين على ذلك بقوله وهو يرد على عبيد الله بن عبد الله ابن طاهر :

كلفتمونا حدود منطقكم      في الشعر يلغى عن صدقه كذبه  
ولم يكن ذو القروح يلهج بالـ      منطق ما نوعه ، وما سببه  
وليس في ذلك دليل على ما يدعون ؛ لأن الشاعر يرى في هذه الأبيات أن للشعر طريقاً ، وللمنطق آخر ، وأنه ليس من الضروري أن يتبع الشعر حدود المنطق ، لأن امرأ القيس زعيم الشعراء لم يكن يعرف المنطق ، ولا خضع شعره لقواعدها العلم . وذلك القول لا يدل على أن البحريّ لم يعرف الفلسفة والمنطق .  
وإني أستبعد جهل البحريّ لهذه المادة التي كان لها رواج كبير في عصره ، وأرى أنه قد تأثر بالمنطق تأثراً بيناً عندما ألف كتابه : « الحماسة » ، واتبع فيه تقسيماً دقيقاً أعمق من تقسيم أبي تمام لحماسته ، بل إنه في هذه القصيدة نفسها جرى عبيد الله في بعض مسائل الفلسفة ، فقسم العقل إلى مطبوع ومكتسب :

والعقل من صيغة وتجربة      شكلان : مولوده ، ومكتسبه

## الفصل الثالث

### جوانبُ البحريّ

#### ١ - آثاره

ترك لنا البحريّ :

١ - ديواناً ضخماً ظل غير مرتب إلى أيام أبي بكر الصولي<sup>(١)</sup> ، فجمعه ورتبه على الحروف ، وجمعه أيضاً على<sup>(٢)</sup> بن حمزة الأصبهاني ولم يرتبه على الحروف بل على الأنواع<sup>(٣)</sup> . وما بين أيدينا من نسخ ديوانه يحتاج إلى تحقيق دقيق وشرح واف .

٢ - كتاب الحماسة ، وقد اختاره البحريّ من شعر نحو ستمائة شاعر ، أكثرهم من الجاهليين والمخضرمين ، وقسمه أربعة وسبعين ومائة باب ، ترجع في الحقيقة إلى ثلاثة أبواب : واحد للحماسة ، وثان للأدب ، وثالث للثناء ؛ فأنت تستطيع أن تردّ الأبواب السبعة والعشرين الأولى في حماسة البحريّ إلى معنى واحد ، هو الحماسة ، والأبواب الباقية ما عدا الأخير منها تدخل كلها في الأدب والاجتماع ، والباب الباقي لمراثي النساء . بيد أن البحريّ فصل هذه الأبواب الثلاثة تفصيلاً بلغت به العدد الذي ذكرناه ؛ إذ أنه ترجم للمعاني التي تندرج تحت الباب الواحد بأبواب خاصة .

تمتاز حماسة البحريّ بغزارة المعاني وكثرة الشعر الذي يتعلق بالأدب والأخلاق ، فهو أكثر ما فيها ، كما أن الحماسة وأمور الحرب

(١) أديب جماع للكتب ، توفي سنة ٣٣٠ هـ .

(٢) أخباري ، جمع ديوان أبي تمام على الأنواع أيضاً .

(٣) معجم الأدباء ١٩ : ٢٥١ .

في حماسة أبي تمام قد أخذت أكبر عنايته بالنسبة إلى الأبواب الأخرى التي ترجم لها في كتابه : من أدب ، ونسيب ، ورثاء ، وأضياف ، ومديح ، وملح ، وولمة نساء . وإذن فنحن نستطيع القول بأن حماسة أبي تمام أكثر أبواباً من حماسة البحتري ، وإن كان الأدب والأخلاق عند البحتري أكثر وأغزر ، ويصح لنا أن نرجح أن البحتري سَمَّى كتابه بالحماسة اقتداءً بأبي تمام ، وإلا فربما كان من المناسب أن يدعو كتابه : كتاب الأدب ، لأنه أكثر ما في اختياره ، كما أن أبا تمام دعا كتابه بالحماسة ، لأنها أكثر ما في الكتاب بالنسبة إلى الأبواب الباقية . وربما كان الدافع لهما إلى تسمية كتابيهما بالحماسة أنهما بدأ مختاراتهما بها .

يذكر أبو تمام كل ما يتعلق بالحماسة أو الأدب مثلاً تحت باب واحد ، أما البحتري فيلتزم جانب التفصيل والتقسيم . تقرأ باب الأدب مثلاً في حماسة أبي تمام ، فترى فيه من غير ترتيب ولا تفصيل شعراً في الحلم ، وفي التسامح مع الصديق ، وفي قطع من يرتاب في ودّه ، إلى ما سوى ذلك ، من غير أن يترجم لكل معنى ، ومن غير أن يضع كل ما يتعلق بالمعنى الواحد بعضه بجوار بعض ، وإذا قرأت البحتري رأيته يفصل : فباب لمؤاخاة الكرام ، وآخر لترك مؤاخاة اللثام ، وثالث لابتلاء الرجال قبل مؤاخاتهم ، ورابع فيمن تهم مودّته ، ولا يوثق بإخائه ، وهكذا يمضي مبوّباً ، مختاراً من الشعر ما يدلّ على المعنى الذي يريده وحده .

لكل من طريقة أبي تمام والبحتري مزية : فطريقة أبي تمام لها فضلها من ناحية أنه يعطيك غالباً القصيدة كاملة ، أو ما يختاره منها ، من غير أن يضطره التفصيل — كما اضطر البحتري — إلى تجزئ القطعة ، وتفريق شملها ، والاقتصار في كثير من الأحيان على بيت واحد فحسب ، أو حذف الكثير من القصيدة ، لأنها لم تدخل فيما عقده من أبواب . وطريقة البحتري لها ميزات من ناحية التقسيم ، فهو يعطيك صوراً مختلفة في الأساليب ، وطريقة الأداء للمعنى الواحد . ولنضرب لذلك مثلاً يوضح ما ذكرناه : روى أبو تمام

في حماسته في باب الأدب قصيدة معن بن أوس التي مطلعها :

لعمرك ما أدري ، وإنى لأوجل      على أينما تعدو المنية أول<sup>(١)</sup>  
ورواها كلها ، بينا فرق البحرى أوصالها ، فذكر بيتين منها في باب  
قطع من اعترض في ودّه ، وهما :

وكنْتُ إذا ما صاحبٌ رام هجرة      وبدل سوءاً بالذى كنت أفعل  
قلبت له ظهر المجنّ ، فلم أدم      على ذاك إلا ريثما أتحوّل

وروى في باب صحة المودة ، وحفظ الإخاء خمسة أبيات وهي :

وإنى أخوك الدائم العهد لم أحل      إذا حال دهر ، أو نبا بك منزل<sup>(٢)</sup>  
أحارب من حاربت من ذى عداوة      وأحبس مالى إن غرمت ، فأعقل<sup>(٣)</sup>  
وإن سؤتى يوماً صفحت إلى غد      ليعقب يوماً منك آخر مُقبل  
كأنك تشفى منك داء مخامراً      أذاتى ، وما فى نيتى لك معضل<sup>(٤)</sup>  
ستقطع فى الدنيا إذا ما قطعنى      يمينك ، فانظر أىّ كفّ تبدّل

وباقى القصيدة لم يذكره البحرى ، والأمثلة على ما ذكرناه كثيرة .

هذا ، ولعلّ القصد الخلقى كان هدفاً من أهداف البحرى ، وربما كان  
هو الباعث الذى حذاه إلى ترك ما أورده أبو تمام فى حماسته من الغزل والهجاء  
ومذمة النساء .

يشارك أبو تمام والبحرى فى كثير من الشعراء الذين روى عنهم ، وقد  
يختار أبو تمام قطعة لشاعر ، ويختار البحرى لهذا الشاعر بعينه قطعة غيرها .  
وقد تروق البحرى قطعة سبق أن اختارها أبو تمام ، فيحرص البحرى على  
ذكرها فى اختياراته . كما تشترك الحماستان فى أن الكلمات الغريبة قليلة فيهما ؛  
لأن السهولة كانت من مميزات العصر العباسى . وتشتركان أيضاً فى كثرة عدد

(١) وجل يوجل : خاف .

(٢) حال : تحول من حال إلى حال . ونبا به : لم يوافقته .

(٣) عقل القتيل : أدى ديته .

(٤) خامره : خالطه . والأداة : الأنى . وأعضل الأمر : استغلق .



الشعراء الذين اختار لهم صاحباً الحماسيين ، فالبحترى قد اختار حماسته من شعر نحو ستمائة شاعر ، وأبو تمام قد اختار من شعر نحو خمسمائة .

ووضع البحترى حماسته تنفيذاً لرغبة الفتح بن خاقان ، وذلك يدل على أن وضعه للكتاب كان قبل مقتل الفتح ، أى حين كانت سنة حول الأربعين ، أو قبلها .

أما السر في شهرة حماسة أبو تمام حتى جرفت حماسة البحترى فلعله يعود إلى أن كثرة التفصيل والتقسيم التي اتبعها البحترى أضاعت بهجة عرض القصيدة كاملة ، هذا إلى كثرة الفنون التي عرضتها حماسة أبي تمام كما ذكرنا .

٣ - كتاب معاني الشعر ، ولم يصل إلينا ، ولكننا نستطيع أن نفهم ، بالقياس على الكتب التي وضعت في معاني الشعر ، وبقيت حتى وصلت إلينا ، ككتاب معاني الشعر للأشناندي - أن كتاب البحترى كان يضم بين دفتيه أبياتاً من الشعر العربي بها كثير من الألفاظ اللغوية الغريبة ، وكثير من الألفاظ التي تحتل معاني عدة ، ثم يتكفل البحترى بشرح ذلك كله . والكتابان يدلان على مدى ما وصلت إليه الثقافة الأدبية للبحترى من اتساع وعمق .

## ٢ - مذهبه في الشعر

قال البحترى في إحدى قصائده :

ومعان لو فصلتها القوافي	هجنت شعر جرول وليد <sup>(١)</sup>
حزن مستعمل الكلام اختياراً	وتجنبن ظلمة التعقيد
وركن اللفظ القريب ، فأدرك	ن به غاية المراد البعيد

وقال في أخرى :

وإذا دجت أقلامه ، ثم انتجت	برقت مصابيح الدجى في كتبه <sup>(٢)</sup>
باللفظ يقرب فهمه في بعده	منا ، ويبعد نيله في قربه

(١) جرول : هو الخطيئة ، شاعر مخضرم توفي نحو سنة ٣٠ هـ . وليد : شاعر فارس مخضرم . توفي سنة ٤١ هـ .  
(٢) دجت أقلامه ، أى بالمداد ، ودجت : أظلمت . وانتجت : وجدت .

وقال في الثالثة :

كلفتمونا حدود منطقكم      في الشعر يلغى عن صدقه كذبه  
ولم يكن ذو القروح يلهج بالمدح      طق : ما نوعه ، وما سببه<sup>(١)</sup>  
والشعر لمح ، تكفى إشارته      وليس بالهذر ، طولت خطبه<sup>(٢)</sup>  
لو أن ذاك الشريف وازن به      ن اللفظ واختار لم يقل : شجبه<sup>(٣)</sup>  
واللفظ حلّى المعنى ، وليس يرى      لك الصفر حسناً يريكه ذهبه<sup>(٤)</sup>  
رأى بعض الباحثين<sup>(٥)</sup> أن البيت الأول في القطعة الأولى يدلّ على أن  
البحرّى يشهد بفضل الشعر على النثر ، ويرى له عليه فضل السبق ، وأنه  
يزين المعانى ويحلّوها ، ونرى أن في ذلك تحميلاً للبيت فوق ما يطيق ، وأن  
الشاعر لم يقصد إلى ذلك عندما أنشأ قصيدته . فالشاعر يرى في قصيدته إلى أن  
يفضل بلاغة صاحبه على بلاغة الكتاب والشعراء ، أما أنه رفعه على الكتاب  
فقد قال له :

لتفتنت في الكتابة حتى      نسى الناس فنّ عبد الحميد  
يريد بذلك أنه تفنّن في كتابته ، وارتفع بمستواها ارتفاعاً فاق به عبد الحميد  
الكاتب ، وبقي أن يرفعه على بلاغة الشعراء ، فقال : إن المعانى التي ضمنها  
كتابته لو أنها وضعت في ميزان شعري لسادت شعر الخطيئة وجريير . ومن غير  
المعقول أن يريد البحرّى التلميح في قصيدته إلى تفضيل الشعر على النثر ، وهو  
يطرى بلاغة وزير كاتب .

تدلنا هذه الأبيات على أن البحرّى يرى الشعر الرائع هو هذا الذي يستعمل  
الأسلوب الواضح الذي لا تعقيد فيه ، والذي يتخذ أدواته الألفاظ القريبة المألوفة

(١) ذو القروح : امرؤ القيس .

(٢) الهذر : الخلط ، والتكلم بما لا ينبغي .

(٣) يريد بالشريف : عبيد الله بن عبد الله بن طاهر الذي جرت بينه وبينه البحرّى

مناقشة بالشعر تجدها في الديوان . والشجب : الهلاك .

(٤) الصفر : النحاس الأصفر .

(٥) هو ابن رشيق القيرواني في العمدة ١ : ١٦٤ .

لدى البلاء ، يعبر بها عن أغراضه ، على ألا تكون هذه الألفاظ مبتذلة ، بل تكون مع قربها إلينا بعيدة منا .

كما أنه لا يرى استعمال اللفظ الثقيل على اللسان ما دام اللفظ الخفيف يغنى عنه ، لأن اللفظ جمال لمعناه ، والجميل بطبيعته ليس كالمموه الكاذب الجمال ، وواجب الشاعر أن يوازن بين الكلمات ليختار أجملها وأسهلها على اللسان .

هذا التعقيد الذى كرهه البحرى جعله ينأى عن أن يملأ شعره بهذه المحسنات البديعية التى أغرم بها أستاذه أبو تمام ، لما يجره الإغراق فى استعمالها من تعقيد يجعل الشعر مظلماً ، لا يشع منه نور المعنى ، ولا يقرب فيه ، على يسر ، إدراك الهدف .

أما معانى الشعر ، ومقاييسه ، فلا يشترط فيها أن تجرى على حدود المنطق ، وأن نأخذ فيها بالقول المحقق الذى يقوم عليه من العقل برهان قاطع ، بل إن الشعر يكفى فيه التخيل ، وأن تذهب النفس إلى ما ترتاح إليه من التعليل ، فثلاً يجد الشعر من الجميل قول البحرى فى وصف الربيع :

أتاك الربيع الطلق ينجتال ضاحكاً من الحسن حتى كاد أن يتكلما<sup>(١)</sup>

بينما لا يثبت هذا المعنى أمام مقاييس المنطق العقلية .

كما أن البحرى لا يجد من الضرورى فى الشعر أن يتضمن مقاييس وقضايا كمقاييس المنطق ، وقضاياه . ولا يريد الشاعر أن الكذب وتغيير الحقائق مما يصلح فى الشعر ، ويكون مقبولا فيه ، فإن مثل هذا الشعر لا يكذبه الناس بالحجج المنطقية ، ولكن يكذبونه بالرجوع إلى حقائق الحياة ، وهكذا يكون الكذب المقبول فى الشعر هو هذا الخيال الذى يعين على تصور الحقيقة . وعلى هذا جرى البحرى فى شعره : فهو ذو أسلوب واضح لا ظلمة فيه ولا تعقيد ، قد اختار الألفاظ المستعملة ، وتجنب الحوشية الثقيلة ، واستعمل ألوان البديع ، لكنه فى استعمال هذه الحلية ، حتى لا تجر الغموض على معانيه ، كما اتخذ

(١) ينجتال : يتبختر .

الخيال وسيلة يكمل بها معانيه ، فتتضح في ذهن السامع كاملة .  
كذلك أحب البحترى الإيجاز في شعره ، فقصائده موجزة في أغلبها غير مطيلة ، لأنه يرى الإطالة سمة للخطابة لا للشعر .

هذا رأيه في الشعر ، قد سار عليه فيما قرضه . وإذا كان استحسان المرء لشيء يدل على وجهة نظره ومذهبه ، فلنا أن نستنبط من إعجاب البحترى بهذا الشعر فيما روى ابن خلكان<sup>(١)</sup> ، وهو :

حام الأراك ألا فاخبرينا      لمن تندين ؟ ومن تعولينا؟<sup>(٢)</sup>  
فقد شقيت بالنوح منا القلوب      وأدميت بالندب منا العيونا<sup>(٣)</sup>  
تعالى نقيم مآتما للهموم      ونعول إخواننا الظاعينا<sup>(٤)</sup>  
ونسعدكن ، وتسعدننا      فإن الحزين يواسي الحزينا<sup>(٥)</sup>

لنا أن نستنبط أن البحترى يرى الشعر الرائع ذلك الذى يستطيع تصوير العاطفة أقوى تصوير وأصدق ، لأن هذه الأبيات تعبر عما كان يحس به البحترى من آلام الغربة عن وطنه ، عندما كان يبتعد عنه ، وما أكثر ما ابتعد عنه !

### ٣ - فنون شعره

كانت ظروف الحياة في أيام البحترى تدفع الشعراء إلى انتهاج ميسل معينة في شعرهم ، تلك هى أن يقصدوا به كبار رجال الدولة من خلفاء ، ووزراء ، وقواد ، وكتاب ، وغيرهم ، يمدحونهم بالشعر ، لينالوا جوائزهم ، ويعيشوا على هذه الجوائز ، وقد اتخذ هؤلاء الكبار من الشعراء وسائل للدعاية لهم ، ونشر سمعة طيبة في شعوبهم ، فكان كثير مما أنشئ من الشعر يومئذ في المدح والثناء .  
ولكن الشعراء تقسوا عن عواطفهم ، وهم ينشئون قصيدة المدح ، فبثوا

(١) وفيات الأعيان ٢ : ١٧٧ .

(٢) الأراك : شجر . وأعول : رفع صوته بالبكاء والصياح .

(٣) شاقه : هاجه . وأدى : أخرج الدم .

(٤) الظاعن : الراحل . (٥) أسعده : عاونه .



فيها هنا وهناك كثيراً من غير المدح : جعلوا مفتتحها الغزل ، فحدّثونا عن هذه العاطفة الخالدة ، وأدخلوا في ثناياها الحكمة ، تحمل تجارب الناس وتجاربهم الخاصة ، ومزجوها بوصف الطبيعة ، وما شادته يد الإنسان ، وسجلوا فيها حوادث التاريخ ، وآراء الكبار في هذه الحوادث ، فأصبحت قصيدة المدح تضم أغراضاً سواء .  
ولقد جرى البحترى على النسق الذى جرى عليه أملاؤه من قبل : فمدح ، وهجاً ، وعتاب ، واستعطف ، وتغزل ، وافتخر ، ووصف ، ورثى ، واعتذر ، ونثر الحكمة . وهذه كلمة عن كل غرض من فنونه الشعرية :

#### ١ - المدح :

شغل المدح أكثر شعر البحترى ، وقد يبدو ذلك مقللاً من قيمة هذا الشعر ، ولكنّ هذا التراث من شعر المدح تفيد منه فائدة كبرى إذا نظرنا إليه لا على أنه مرتبط بشخص خاص ، ولكن على أنه تصوير للفضائل الإنسانية التى ينبغى أن يتصف بها الخليفة والوزير مثلاً ، ورسم للمثل الأعلى الذى ينبغى أن يكون عليه الحاكم أو الكاتب . أوليس هذا الشعر الذى يلتقى على مسامع الممدوحين جديراً أن ينبههم إلى رسالتهم فى الحياة ، وما ينبغى أن يكونوا عليه ، وخليقاً أن يقودهم ، ويقود الأجيال من بعدهم إلى خير سبل الحكم وميامنة الرعية .

وعلى هذا الأساس نعرض شعر البحترى فى المدح ، وقد خلعه على طوائف مختلفة ، فيها الخليفة ، وفيها مستشاره ، وفيها الوزير ، وفيها الكاتب ، وفيها النديم ، وفيها القائد ، وفيها غير أولئك من كبار الرجال فى أيامه .

والبحترى يعدّ من صفات الحاكم المثالية دماء الخلق ، وطلاقة الوجه ، والكرم فى العطاء ، ويذكر من بين ما يحببه إلى رعيته دفاعه عن أطراف وطنها ، ومحاماته عنها ، وعطفه عليها ، ورقته فى معاملته أبناء شعبه ، ومساهمة بماله فى كل ما يعود عليها بالخير ، وحراسته لحمى دينهم بسيفه الصارم إن أملت بالدين نائبة ، وعنايته بأمر ثغورها ، لأنها موطن تسرب العدو ، حتى لا يستطيع أن ينال منها منالاً . وهو الذى يحوط حمى الدين ، ويكف الظالم عن الاسترسال فى ظلمه ،

وينال به المظلوم حقه ، ولا يقف في طريقه ظالم يهضمه ، ويقم الجهاد ، ويقود شعبه إليه ، ويؤدى فروض الدين ، لأن الدنيا لا تكون جميلة إلا إذا كان معها عمل صالح يبقى نعيمه في الآخرة . وهكذا نستطيع أن ننظر إلى المدح نظرنا إلى شعر يصور بعض نواحي المثل العليا للصفات الإنسانية .

ب - الفخر :

البحترى فخور بنفسه وشعره ، وكثير من قصائده في المدح لا يخلو من الإدلال بهما ، وفي ديوانه فضلا عن ذلك قصائد أنشأها للفخر قصداً ، ولعلّ أظهر هذه القصائد اثنتان ، مطلع الأولى :

إنما الغنى أن تكون رشيداً فانقصا من ملامة ، أوفزيدا<sup>(١)</sup>

ومطلع الثانية :

أحبب إلى بطيف سعدى الآتى وطروقه في أعجب الأوقات  
والقصيدة الأولى أنشأها في سنّ الشبيبة ، حين لم يكن قد أقام لنفسه مجداً يعتمد عليه في الفخر ، ولذا بنى فخره على مجد قبيلته : طي ، وتكاد القصيدة كلها تقف عند تمجيد طي ومدحها ، ودار هذا التمجيد حول أربع صفات ، هى : البأس ، وما يتبع البأس من شجاعة ونجدة ، والكرم ، وكثرة العديد ، ورجاحة الأحلام ، وهى عينها الصفات التى كان العربى الصريح يتمجد بها منذ أقدم العصور . ومن فخره في هذه القصيدة :

سائل الدهر مذ عرفناه ، هل يع  
لم نزل قطّ مذ ترعرع نكسو  
فهو من مجدنا يروح ويغردو  
ف منا إلاّ الفعال الحميدا  
ه ندّى ليناً ، وبأساً شديدا  
في علّا لا تبيد حتى يبيدا

وكانت قصيدته كلها جارية على هذا النسق القوى .

أما القصيدة الثانية فقد أنشأها في سنّ الأربعين ، بعد أن ظفر بأقصى ما يرجوه شاعر في ذلك العصر ، وهو أن يتصل بالخليفة ، ويصبح من خاصته ،

مُشفَعاً مسموع الكلمة ، ولذلك اتجه فيها إلى الفخر بنفسه ، مباهاياً بما ظهر به من مكانة ، وما ناله من مجد .

أما فخره بشعره فكثير في قصائده ، وحسبنا هنا هذا البيت ، إذ يقول :

وأنا الذي أوضحت غير مدافع نهج القوافي ، وهي رسم دارس<sup>(١)</sup>

ح - العتاب والاعتذار :

كان للبحرئى منافسون وحساد ، وذلك أمر طبعى لشاعر نال السعادة شعره ، فكانوا يدمون له ، فتحدث بينه وبين من يتصل بهم قطيعة ، يلجأ إلى الشعر ليزيلها ، وقد يعاتب عندما يشعر بأن شيئاً مسَّ كرامته .

وقد شهر البحرئى في الأدب العربى بحلاوة العتاب ، ويعدونه سيداً في هذه الصناعة ، وأستاذاً للشعراء<sup>(٢)</sup> ، ولم يضعه النقدة في تلك المكانة إلا لما رأوه في عتابه من رقة ولين ، يجعلان عتابه مقبولاً لدى النفس ، ويستل ما قد يكون فيها من انحراف عليه .

واستمع إلى رفته ، وهو يعاتب المتوكل :

هل يجلبنّ إلى عطفك موقفٌ ثبت لديك ، أقول فيه وتسع<sup>(٣)</sup>  
ما زال لي من حسن رأيك موئل آوى إليه من الخطوب ومفرع<sup>(٤)</sup>  
فعلام أنكرت الصديق ، وأقبلت نحوى ركب الكاشحين تطلع<sup>(٥)</sup>  
وأقام يطمع في تهضمّ جانبي من لم يكن من قبل فيه يطمع<sup>(٦)</sup>  
إلا يكن ذنب فعذلك وأوسع أو كان لي ذنب فعفوك أوسع

والبيت الأخير يرى أن عودة الصلة ضرورية ، سواء أكان هناك ذنب ، أم لم يكن . كما أن الشاعر عندما يقول للخليفة : فعلام أنكرت الصديق ،

(١) النهج : الطريق الواضح . والرسم : آثار الديار . والدارس : المسجو .

(٢) العمدة ٣ : ١٠٩ .

(٣) موقف ثبت : موقف يدلى فيه بالحجة والبرهان .

(٤) الموئل : الملجأ ، كالمفرع . (٥) الكاشح : العدو المفسر العداوة .

(٦) تهضمه : ظلمه .

يعرف قدر نفسه أمام الخليفة ، ويراه صديقاً له . والحق أن البحترى لم ينس في عتابه عزّة نفسه ، حتى قال مرّة وهو يعاتب الفتح بن خاقان :

سأحمل نفسي عنك حمل مجامل وأكرمها ، إذ كانت النفس تكرم<sup>(١)</sup>  
وأبعد حتى تعرض الأرض دوننا ويمسى التلاقي ، وهو غيب مرّجّم<sup>(٢)</sup>

د - الرثاء :

رتى البحترى جماعة من كبار رجال الدولة ، فيهم خليفة ووزير ، كما رثى قومه وغلامه . وهو حين يرثى قد يذرف الدمع على الميت ، ويذكر فجيعة فيه ، وقد يسجل له ما امتاز به من خلال إنسانية رفيعة ، وقد يجمع في رثائه بين البكاء والتسجيل .

والبحترى مجيد عندما يصوّر عواطفه الحزينة ، ومن أقوى قصائده رثائه ما أنشأه باكياً مقتل المتوكل ، وقد شغله فيها البكاء ، والألم من الغدر ، وخيانة الجند ، وتواطئهم مع وليّ العهد ، شغله كل ذلك عن تسجيل صفات الخليفة ومآثره<sup>(٣)</sup> .

وكان البحترى يبلغ في بعض قصائده رثائه درجة أرفع مما بلغها في قصائده مدحه لهؤلاء الذين رثاهم ، وقد سئل البحترى في ذلك ، فأجاب بأنّ من تمام الوفاء أن تفضل المراثي المدائح<sup>(٤)</sup> .

وأجاد الشاعر كذلك في التعزية التي يمزجها بالحكمة ، ليخفف وقع المصاب على النفس .

والرثاء عند البحترى قليل ، فهل كان لنفسه المرحمة المتفائلة أثر في هذه القلة ، أو أنه كان مقلّاً من الأصدقاء الذين أنخلص لهم وأخلصوا له ، ولم يكن الشاعر يندفع إلى الرثاء إلا إذا حرّكته عاطفة قوية تحمله على القول .

(١) جامله : أحسن معاملته وعشرته . (٢) رجم : تكلم بالظن .

(٣) اطلب هذه القصيدة في قسم المنتخبات في هذا الكتاب .

(٤) الأغاني ١٨ : ١٧٠ .

هـ — الهجاء :

للبحرئى كثير من القطع فى الهجاء ، تقرؤها جميعها ، فتخرج منها بنتيجة واحدة ، تلك هى أن البحرئى شاعر غير مطبوع على الهجاء ، وأن الهجاء فن لم يجده البحرئى ، ولم يتقن أسبابه . وإنك تلمس فى هذا الهجاء ظاهرتين قويتين : إحداهما قصر نفسه فيه ، فجلى أهاجيه مقطوعات صغيرة ، لا تزيد غالباً على خمسة أبيات أو ستة ، ولا تتجاوز فى أكثر الأحيان البيتين والثلاثة ، وليس قصر النفس وحده كافياً للدلالة على ضعف شاعرنا فى فن الهجاء ، بل يضاف إليه قلة المعانى التى يحويها ، فليس قصر هجائه لأنه شفى نفسه ، وذكر ما أحاط بعنق المهجوة ، بل لأنه عاجز عن الاستمرار فى الهجاء ، حتى يشفى غيظ نفسه . وثانيتها : صراحة هجائه ، فهو يدعو من يهجوهم حمراً تارة ، وكلباً أخرى ، وثوراً حيناً ، وابن كلب حيناً آخر ، والهجاء القوى يسمى عن تلك المعانى إلى حيث التهكم والسخرية . وما استطاع أن يرتفع فيه أحياناً ، قوله يهجو من يدعى أبا الحسن المذارى :

أبلغ أبا حسن ، وكنت أعدّه      من بينهم قمناً من الإحسان<sup>(١)</sup>  
إن كنت إنساناً فقل لى صادقاً      ما الفرق بين القرد والإنسان ؟ !

وقوله يهجو الخثعمى :

ما إن يزال يجرّ من أشعاره      جيفاً ، فكيف أقول فى الجفاف  
ولقد حدثنا البحرئى كثيراً عن بغضه فى مهاجمة الشعراء الهاجين له ، والناقمين عليه ، حذراً من أن يتأدوا فى هجائه ، فيخلد لأسرته عاراً يبقى ولا يزول ، وقد اعترف بذلك صراحة إذ يقول :

وأجبن عن تعريض عرضى لجاهل      وإن كنت فى الإقدام أظعن فى الصّف  
وإنى لثيم . إن تركت لأسرتى      أو ابدتبقى فى القراطيس والصحف<sup>(٢)</sup>

(١) القمن : الخلق والجدير .

(٢) الأوابد : جمع أبدة ، وهى : الداهية الخالدة الذكر .



كما كره البحتري أن يشهر بالهجاء ، وأن يجعله صناعة له ، ولعله وجد في عصره أن هؤلاء الذين شهرروا بالهجاء ، كدعبل الخزاعي وابن الرومي ، عاشوا بعيدين عن نيل السعادة وال حظ . أما هو فقد ظفر في شعره بالسعادة والمال ، فما له يعرض نفسه لحياة تملؤها الرغبة في إجماع الناس بالهجاء :

ولست منبرياً بالجهل أجعله صناعة ، ما وجدت الحلم يكفيني هذا ، وقد كان ما أنشأه في الهجاء منبعثاً عن أسباب شخصية ، كحرمان من جائزة ، أو تعجرف حاجب وسوء معاملته ، أو تعرض بعض الناس لشعره ، حيناً بالنقد وحيناً بالسرقة ، أو عدم شكران صنيعة أداها إلى صاحب ، وقد يثور لحادث خالف الخلق الطيب .

#### و - الحكمة والوصف :

لم يشتهر البحتري بالحكمة ، ومع ذلك لم يخل شعره منها ، وهو يقتبسها مما أمامه في الحياة وأحداثها ، أو من معاني ما سمعه أو رواه وحفظه ، أو من الحادثة التي يقول فيها شعره ، وتجده هذه الحكم منثورة في شعره .

أما الوصف فقد اعترف مؤرخو البحتري له بمقدرته عليه ، وقالوا : إنه أجود أنواع شعره<sup>(١)</sup> ، ومؤرخوه على حق حين عرفوا له مكانته في هذا الفن ، فهو قدير على تصوير ما يرى ، تصويراً ينقل إليك الصورة كاملة ، لتأثر بها كما تأثر ، ثم لا يقف عند حدود هذا التصوير ، بل يصف لك إحساسه وشعوره إزاء ما يصف ، فهو يشرك عينه وقلبه في رسم ما يريد . ونجد لذلك مثلاً وصفه لإيوان كسرى ، وما فيه من صورة أنطاكية ، فهو لا يكاد يذكر شيئاً تراه العين ، حتى يصف إحساسه إزاء ما يراه ، فعندما وصف صورة أنطاكية ، وفيها أنوشروان يحث جنده على الإقدام ، وقد أظله علم كبير ، ولبس ثوباً أخضر ، واعتلى صهوة جواد أصفر ، وأخذ الروم والفرس يقتتلون بين يديه لا تكاد تسمع لهم صوتاً - حدثك عن شعوره ؛ فهو يحس كأن المنايا ترفرف

فوق هذا الجمع الحاشد، وأن ما يراه ليس صورة لجند ، ولكنهم أجناد حقيقة يقتتلون حقاً ، ثم يقول :

يغتلى فيهم ارتياجى حتى تتقرّاهمُ يداى بلمس<sup>(١)</sup>  
وإذا وقف لدى الإيوان شعر به كأنما هو حزين، أزعج بفراق حبيب،  
أو أرهق بتطليق عرس ، وأحس به كأنما يكافح الأيام ، والدهر يلتقى عليه  
بكلّكله :

فهو يبدى تجلداً ، وعليه كلكل من كلاكل الدهر مرسى<sup>(٢)</sup>  
ثم يعبر عن منتهى إعجابه بهذا الإيوان ، فيقول :  
ليس يُدْرى أصنع إنس بلجن سكونه ، أم صنع جن لإنس  
ولا تكاد تخطو خطوة فى هذه القصيدة الرائعة إلا رأيت صورة للعين  
وإحساسات للنفس . وقل مثل ذلك فى قصيدته التى وصف بها بركة أنشأها  
المتوكل فى إحدى قصوره ، وتأمل هذه الصورة البارعة للبركة فى الليل ، إذ  
يقول :

إذا السماء تراءت فى جوانبها ليلا حسبت سماء ركبت فيها  
وقد كان للحضارة فى العصر العباسى أثرها فى شعر البحرى ؛ فوصف  
القصور التى أغرم بإنشائها بعض الخلفاء، وما ضمته من ألوان الترف والنعيم .  
كما كان للطبيعة نصيبها فى شعره ، فله قطعة قويّة فى وصف الربيع الذى  
أحس به كأنما يقبل مختالاً ضاحكاً ، حتى كاد يتكلم ، لما فيه من الحسن  
والجمال :

ورق نسيم الرّيح ، حتى حسبته يجرى بأنفاس الأحيّة نعما  
وأكثر البحرى من وصف الخيل ، ووصف سرى الليل ، ويظهر أن  
لأسفاره أثراً كبيراً فى ذلك ، وقد استعاض عن الناقة بالخيول يركبها ، يقطع  
عليها المدن والقرى والقفار . وقد كانت رحلة من هذه الرحلات باعثاً له على  
إنشاء قصيدته التى وصف فيها الذئب ، وقد أجاد فى وصفه ، ووصف المعركة

التي دارت بينهما ، وانتهت بانتصار البحري ، وهو يصور نفسيته ونفسية  
الذئب في قوله :

كلانا بها ذئب يحدث نفسه بصاحبه ، والحد يتعسه الحد  
وللبحري قصيدة وصف فيها مبارزة الفتح بن خاقان للأمد ، وقد وصف  
الشاعر إعجابه ببطولة المتبارزين ، حين قال :

هزبر مشى يبغى هزبراً ، وأغلب من القوم يغشى بامل الوجه أغلباً<sup>(١)</sup>  
ز - الغزل :

عرف البحري الحب عند ما رأى «علوة» في مدينة حلب ، ووقف جزءاً كبيراً  
من شعره يتغزل بغادته ، حتى بعد أن فارقتها إلى العراق .  
وقد صور الشاعر في غزله كثيراً من عواطف الحب ، ومواقفه :  
صور جمال المرأة ، فقال :

بأبي شادن تعلق قلبي بجفون فواتر اللحظ مرضى<sup>(٢)</sup>  
لست أنساه بادياً من قريب يتشى تشنى الغصن غصنا  
ووصف مواقف اللقاء والوداع ، إذ قال :

باتت تبرّد من جواى وغلتي أنفاس ظبي طيب الأنفاس<sup>(٣)</sup>  
يدنو إلى براحه وبريقه فيعلتي بالريق بعد الكاس<sup>(٤)</sup>  
هيف الجوانح منه هاض جوانحي ونعاس مقلته أطار نعاسي<sup>(٥)</sup>  
هذا إلى عواطف كثيرة أخرى حدثنا عنها في شعره ، فوصف لنا كيف  
يعشق الحبيب مع هجره ودلاله ، بل كيف يتفانى المرء في حبيبه ، وكيف أن  
الحبيب في نظر من يحبه أجمل مخلوق يراه ، وكيف يتدلل المحب لحبيبه ،

(١) الهزبر : الأسد . والأغلب : القاهر المعز . وللمتنى قصيدة يصف فيها لقاء

بدر بن عمار للأسد . وقد وزن ابن الأثير بين قصيدتي البحري والمتنى في كتابه : المثل السائر ص ٢١٨ .

(٢) الشادن : ولد الظبية .

(٣) الجوى : شدة الوجد من العشق . والنلة : شدة العيش .

(٤) الراح : الخمر . وأعله : سقاه سقياً بعد سقى ، أى جرعة بعد أخرى .

(٥) الهيف : ضبور البطن ورقة الخاصرتين . وهاضه : كسره وقتته .

ويستعطفه ، وإن كان هو الجاني المذنب ، وكيف يصبر الحبّ على ما يلاقيه من عدل ولوم ، لأن الحب يلذه ما يلاقيه في الحبّ من عذاب ، إلى غير ذلك من عواطف وإحساسات يطول وجه استقصائها ، وكثير من هذه المعاني سبقه بها غيره من الشعراء ، كما قلّد شعراء العرب الأولين ؛ فبكى الديار ، وصّال لها السقيا ، وسألها ، ولم تجبه ، ووقف عندها ، وذكر عهدها وأيامها ، إلى غير ذلك مما أكثر منه شعراء الجاهلية ، ولكن البحترى يدخل عليها من حسن نظمه ما يجعل هذه المعاني المكرورة ، عذبة محبوبة .

وأكثر البحترى من ذكر طيف الحبيب ، وشهر به شهرة فائقة<sup>(١)</sup> ، حتى ضرب به المثل بين الأدباء ، فأصبحوا يقولون : أرقّ من طيف البحترى ، وربما كان السبب في إكثار الشاعر من ذكر الطيف حبه لعلوة ، ثم بعده عنها ، ومن ذلك قوله :

تدرين كم من زورة مشكورة      من زائر وهب الخطير ، وما درى  
غاب الوشاة ، فبات يسهل مطلب      لو يشهدون طريقه لتوعرا  
كان الكرى حظ العيون ، ولم أنخل      أن القلوب لهنّ حظ في الكرى  
ويقول بعض الباحثين<sup>(٢)</sup> : إنه بنى أكثر أوصافه للخيال على قول قيس بن الخطيم<sup>(٣)</sup> :

إني سربت ؟ وكنت غير سروب      وتقرب الأحلام غير قريب<sup>(٤)</sup>  
ما تمنعني يقظي فقد تؤتيني      في النوم غير مصرّد محسوب<sup>(٥)</sup>  
والحق أن البحترى كرّر كثيراً معاني قيس ، وإن لم يقف عندها ، بل ولّد ، وأتى بكثير من المعاني غيرها ، مما جعل البحترى مصدراً يقتبس منه الشعراء بعده .

(١) العمدة ٢ : ٩٥ . (٢) الموازنة ص ١٦١ .

(٣) شاعر الأوس وأحد صناديدها في الجاهلية توفي سنة ٢ هـ .

(٤) سرب : توجه للرعى . يريد توجهت لزيارتي .

(٥) صرد العطاء : قلله ، وصرد الرجل : سقاه دون الرى . والناقدون يأخذون على هذا

البيت أن الشاعر يريد : ما تمنعني في يقظي فقد تؤتيني في حال نومي . في حين أن البيت يقول : ما تمنعني وأنت متيقظة فقد تؤتيني وأنت فائمة ، وليس ذلك بمراد . راجع الموازنة ص ١٦٢

## ٤ - تأثيره وتأثيره

اتصل البحترى بكبار شعراء عصره : أبي تمام : ودعبل الخزاعي ، وابن الرومي ، وعلى بن الجهم ، وابن المعتز ، وابن الزيات ، وابن طاهر ، وكان أبو تمام أعظم هؤلاء الشعراء تأثيراً في البحترى وشعره ، وكان أول ما قاله له : « يا أبا عبادة ، تخير الأوقات ، وأنت قليل الهموم ، صفر من الغيوم ، واعلم أن العادة في الأوقات أن يقصد الإنسان لتأليف شيء أو حفظه في وقت السحر ، وذلك أن النفس قد أخذت حظها من الراحة ، وقسطها من النوم ، فإذا أردت النسيب فاجعل اللفظ رقيقاً ، والمعنى رقيقاً ، وأكثر فيه من بيان الصبابة ، وتوجع الكتابة ، وقلق الأشواق ، ولوعة الفراق ، وإذا أخذت في مدح سيد ذي أباد ، فأشهر مناقبه ، وأظهر مناصبه ، وأبن معالمة ، وشرف مقامه . وتقاض المعاني ، واحذر المجهول منها ، وإياك أن تشين شعرك بهذه الألفاظ الزرية ، وكن كأنك خياط يقطع الثياب على مقادير الأجسام ، وإذا عارضك الضجر فأرح نفسك ، ولا تعمل إلا وأنت فارغ القلب ، واجعل شهوتك لقول الشعر الذريعة إلى حسن نظمه ، فإن الشهوة نعم المعين . وجملة الحال أن تعتبر شعرك بما سلف من شعر الماضين ، فما استحسنته العلماء فاقصده ، وما تركوه فاجتنبه ، ترشد إن شاء الله تعالى » (١) .

وجرى شعر البحترى في لفظه ومعناه ، وفي غزله ومدحه ، مقتفياً أثر هذا الدرس ، كما تأثيره في درس آخر ، إذ يقول : أنشدني أبو تمام لنفسه :  
وسابح هطل التعداد ، هتان      على الجراء أمين غير خوان (٢)  
أظمى الفصوص ، ولم تظماً قوائمه      فخل عينيك في ظمان ريان (٣)

(١) زهر الآداب ١ : ١٠١ .

(٢) السابح من الخيل : السريع . وهطل التعداد : متتابع الجرى ، كالهتان . والجراء :

الجرى .

(٣) أظمى : أسمر . والفصوص : جمع فص ، وهو حلقة العين .



فلو تراه مشيحاً والحصى زيم بين السنايك من مثنى ووحدان<sup>(١)</sup>  
أيقنت إن لم تشببت - أن حافره من صخر تدمر أو من وجه عثمان<sup>(٢)</sup>

ثم قال لي : ما هذا الشعر ؟ قلت : لا أدري . قال : هذا الاستطراد .  
قلت : وما معنى ذلك ؟ قال : يرى أنه يريد وصف الفرس ، وهو يريد هجاء  
عثمان ؛ فطبق البحري ذلك الدرس ، فقال في قصيدته التي مدح فيها محمد بن  
علي القمي : وصف الفرس ، فقال :

وأغر في الزمن البهيم ، محجل قد رُحْتُ منه على أغر محجل<sup>(٣)</sup>  
ومضى يصفه حتى قال :

ما إن يعاف قذى ، ولو أوردته يوماً خلأئق حمدويه الأحول<sup>(٤)</sup>  
وكان حمدويه الأحول عدواً لمحمد بن علي القمي<sup>(٥)</sup>

وقد أخذ البحري كثيراً من المعاني التي سبقه بها أبو تمام<sup>(٦)</sup> ، وقد أحصى  
بعض العلماء هذه المعاني التي أخذها البحري ، وغالى في ذلك ، حتى عدّ  
المعاني المشتركة الشائعة بين الناس ، مما أخذه البحري إذا كان قد عبر عنها  
قبله أبو تمام .

فما أخذه البحري من أبي تمام قول البحري :

وسألت من لا يستجيب ، وكنت في استخباره كمجيب من لا يسأل  
أخذه من قول أبي تمام :

فسواء إجابتي غير داع ودعائي بالقفر غير مجيب  
وقال أبو تمام :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

(١) أشاح في أمره : جد . وزيم : قطع .

(٢) تدمر : مدينة قريبة من دمشق .

(٣) الأغر من الخيل : ما كان يجهته غرة ، وهي البياض . والبهيم : الأسود . والمحجل :

ما كان في قوائمه بياض .

(٤) عاف : كره . والقذى : ما يقع في الشراب من تينة ونحوها .

(٥) أخبار أبي تمام ص ٧٨ . (٦) راجع الموازنة ص ١٣٧ وما يليها .

فقال البحرى :

ولن تستين الدهرَ موضعَ نعمة . إذا أنت لم تُدلل عليها بحامد

وقال أبو تمام :

وما نفع من قد ماتَ بالأمس صادياً . إذا ما السماءُ اليوم طال انهماؤها<sup>(١)</sup>

فقال البحرى :

واعلم بأن الغيث ليس بنافع . للئاس ما لم يأت فى إبانه<sup>(٢)</sup>

وغير ذلك كثير ، تجده فى كتاب الموازنة ، وكتاب أخبار أبي تمام .

ولم يشأ البحرى أن يجارى أبا تمام فى الاستكثار من ألوان البديع استكثاراً

أفضى فى كثير من الأحيان إلى تعقيد المعنى وغموضه ، وهو ما عيب على أبي تمام ، فاكتفى البحرى من المحسنات بما يزين ولا يعقد .

ولم يأخذ عنه أيضاً إيراد المعانى الدقيقة التى تحتاج إلى غوص الفكر ، حتى

يهتدى إليها ، وهو ما عرف به أبو تمام ، وآثر البحرى وضوح المعنى وضوحاً لا يكدر ذهن قارئه .

ولم يقف البحرى فى أخذه المعانى عند أبي تمام ، بل كان إذا أعجبه

المعنى عند سابقه من الشعراء أعاد صياغته بأسلوبه ، وأدخله فى شعره . وقد

تتبع النقاد ما أخذه البحرى من معانى غيره<sup>(٣)</sup> ، فمن ذلك قوله يصف الخمر :

يخفى الزجاجَ لونها ، فكأنها . فى الكأس قائمة بغير إناء

أخذه من قول على بن جبلة<sup>(٤)</sup> :

كأن يد النديم تدبر منها . شعاعاً لا يحيط عليه كأس

وقال البحرى :

أعطيتى ، حتى حسبت جزيل ما . أعطيتيه وديعة لم توهب

أخذه من قول الفرزدق<sup>(٥)</sup> :

(١) الصادى : العطشان .

(٢) إبان الشيء : حينه .

(٣) راجع الموازنة ص ١٣١ وما يليها . (٤) شاعر مجيد توفى سنة ٢١٣ هـ .

(٥) شاعر نبيل من أهل البصرة عظيم الأثر فى اللغة توفى سنة ١١٠ هـ .

أعطاني المال ، حتى قلت : يودعني أو قلت : أعطيت مالا قد رآه لنا  
وبيت البحترى أجود . وقال الحسين بن الضحاك<sup>(١)</sup> :

وتطمع أن يطيعك قلب سعدى وتزعم أن قلبك قد عصاك  
أخذه البحترى ، فقال :

ولست أعجب من عصيان قلبك لي عمراً ، إذا كان قلبي فيك يعصيني  
وقال عمرو بن معدى كرب الزبيدي<sup>(٢)</sup> :

والضاريين بكل أبيض مرهف والطاعنين مجامع الأضغان  
فقال البحترى :

قوم ترى أرماحهم يوم الوغى مشغوفة بمواطن الكتمان  
قال الآمدى : « إلا أن قول عمرو : ” والطاعنين مجامع الأضغان ” في غاية  
الجلودة والإصابة ؛ لأنهم إنما يطاعنون الأعداء من أجل أضغانهم ، فإذا وقع  
الطعن موضع الضغن فذلك غاية كل مطلوب »<sup>(٣)</sup> .

إلى غير ذلك مما ذكره صاحب الموازنة ، وهذا الأخذ بطبعي لشاعر مثقف  
ثقافة واسعة في الأدب ، ومطلع اطلاعاً كبيراً على ميراث الشعراء السابقين  
والمعاصرين .

رأى البحترى أن منهجه هو منهج العرب الخالص ، فلم يتأثر أستاذه في جعل  
الحكمة من بين أغراض شعره ، ولا أن يصبغ بعض شعره صبغة فلسفية ، كما  
لم يتأثر معاصريه : عبيد الله بن عبد الله ، وابن الرومي ، في إطالة قصائدهما .  
ووجد ذلك هذراً لا يصلح للشعر إن صالح للخطابة .

وقد اقتدى بالبحترى كثير ممن جاء بعد في سهولة الأسلوب ، وتخفيف اللفظ ،  
ووضوح المعنى . ومن أظهر هؤلاء الذين تأثروا أبو فراس الحمداني ، كما أخذ  
الشعراء بعض معانيه ، ومن هؤلاء أبو الطيب المتنبي<sup>(٤)</sup> ، فقد عد له صاحب

(١) شاعر نديم للخلفاء، أصله من خراسان توفي سنة ٢٥٠ هـ .

(٢) فارس يمني ، له شعر جيد توفي سنة ٩ هـ .

(٣) الموازنة ص ١٣٤ .

(٤) من أشهر شعراء الأدب العربي توفي سنة ٣٥٤ هـ .



وقد دلّ البحتريّ على أنه قدّير في معالجته لغير المدح من أغراض الشعر ، ولو أنّ الظروف كانت قد أتاحت له أن يهب شعره للحديث عن عواطفه المختلفة فحسب ، لكان له في الأدب العربيّ إنتاج ضخم خالد . وحسبك ما أنتجه في الوصف والغزل دليلاً على ذلك .

ونال البحتريّ مكانة سامية بين شعراء عصره ، قالوا إنه « أسقط في أيامه أكثر من خمسمائة شاعر ، وذهب بنخيرهم ، واتفرد بأخذ جوائر الخلفاء والملوك دونهم »<sup>(١)</sup> . وقد يكون في ذلك بعض المغالاة ، ولكنها تصوّر حقيقة منزلته في أيامه . كما ارتفع صوت المغنين<sup>(٢)</sup> يطربون الناس بشعره منذ حياته .

وللبحتريّ منزلته كذلك في تصوير كثير من الأحداث السياسية التي جرت في عصره ، وما كان لها من صدى في نفس الحزب الغالب في تلك الأيام . وكما تصوّر الأحداث تصوّر بعض مظاهر الحضارة العباسية ، وصوّر بعض الاتجاهات الدينية والأدبية في العصر الذي عاش فيه .

وإذا كان بعض النقاد<sup>(٣)</sup> قد أخذ عليه أخطاء في المعنى وفي اللفظ ، فذلك ما لا يخلو منه شعر شاعر ، وهي في جملتها قليلة ، لا تحط من شأن إنتاجه الضخم من الشعر .

(١) المرجع السابق ص ٥ .

(٢) الأغاني ١٨ : ١٦٧ .

(٣) الموازنة ص ١٦٠ وما يليها .



## الفصل الرابع

### منتخبات من آثار البحري

#### ١ - الشاعر السياسي

##### الخليفة المتوكل

أجاد البحري في الشعر الذي مدح به الخليفة جعفر المتوكل على الله ، ومن ذلك هذه القصيدة التي بدأها بالفضل ، ثم انتقل إلى المدح انتقالا مفاجئا .  
وقد أثني الشاعر على الخليفة بالجوّد ، والسداد في تدبير الملك ، وتوخي الإحسان في القول والعمل ، والتزام طاعة الله ، والشجاعة في ميدان القتال ، وقد اكتسبت القصيدة قوة من قافية الضاد :

أيها الراغبُ الذي طلبَ الجوّ	دَ ، فأبلى كُومَ المطايا ، وأنضى <sup>(١)</sup>
ردّ حياضَ الإمامِ تلقَ نوالاً	يسعُ الراغبين طولا ، وعرضا <sup>(٢)</sup>
فهناك العطاء جزلاً لمن را	مَ جزيلَ العطاء ، والجودُ محضاً <sup>(٣)</sup>
هو أندى من الغمامِ ، وأوفى	وقعاتٍ من الحُسامِ ، وأمضى <sup>(٤)</sup>
دبرَ الملكَ بالسدادِ ، فأبرا	ساً صلاحَ الإسلامِ فيه ، ونقضاً <sup>(٥)</sup>
يتوخي الإحسانَ قولاً وفعلاً	يُطيعُ الإلهَ بسطاً وقبضاً <sup>(٦)</sup>

(١) الكوم : القطعة من الإبل . والمطايا : الدواب . وأنضى الدابة : هزها .

(٢) النوال : العطاء .

(٣) الجزل : الواسع . والمخض : الخالص .

(٤) أندى : أكرم . والحسام : السيف .

(٥) السداد : الرشاد والصواب .

(٦) توخي الأمر : تعمد ، وتطلبه دون سواه . وبسطاً وقبضاً ، أى فيها يعطى وفيها يمنع .

وإذا ما تشنَّعتْ حوله الحر  
غشي الدَّارعين ضرباً هَذَاذِي  
يا بنَ عم النبي حقاً ، ويا أَرْ  
بنتَ بالفضلِ والعلوِّ ؛ فأصبح  
وأرى المجدَ بين عارفةٍ منْ  
بُ ، وكان المَقامُ بالقَوْمِ دَحْضاً<sup>(١)</sup>  
لَكَ ، وطعنأ يُودع الخيلَ ونَحْضاً<sup>(٢)</sup>  
كى قريشٍ : نفساً ، ودينأ ، وعِرْضاً<sup>(٣)</sup>  
تَ سماءً ، وأصبح الناسُ أرضاً<sup>(٤)</sup>  
لَكَ تُرَجَّى ، وعَزمِ منك تُمَضَى<sup>(٥)</sup>

### إلى دمشق

عزم المتوكل على الرحيل إلى دمشق ، ولعله كان يريد اتخاذها عاصمة لخلافته ، فقد ضاق  
ذرعاً بجوار الترك ، وود لو يستطيع العيش بين العرب في الشام : فأنشأ البحترى هذه القصيدة ، يثني  
فيها على دمشق ، ويدعو للخليفة أن يصحبه التوفيق فيما أراد وقال بعد النزول :

حبذا العيشُ في دِمَشْه قَ إذا ليلُها بَرَدُ  
حيثُ يُستقبلُ الزما نُ ، ويُستحسنُ البَلَدُ<sup>(٦)</sup>  
سَفَرٌ جَدَّدتْ لنا الا هَوَ أيامُه الجُدُدُ  
عَزمَ اللهُ للمخْلِية فَمَ فيه على الرُّشدُ<sup>(٧)</sup>  
ملك تَعَجِزُ البَرِيَّةُ عَ عن حلِّ ما عَقْدُ<sup>(٨)</sup>

(١) تشنعت : جدت . والدحض : المكان الزلق .

(٢) الدارع : لابس الدرع . وهذاذك : قطعاً بعد قطع . والوخض : العطن غير النافذ .

(٣) زكا : طاب .

(٤) البين : البعد .

(٥) العارفة : العطية . وأمضى العزم : نفذه .

(٦) يستقبل الزمان : يريد يستأنف زمان جديد جميل .

(٧) عزم : أراد .

(٨) البرية : الخليفة .

يا إمامَ الهدى الذى احـ      تباط للدين ، واجتهد  
 سرُّ بسعدِ السعودِ فى      صُحبةِ الواحدِ الصِّمد<sup>(١)</sup>  
 وابقَ فى العزِّ والعُدَّ      و لنا آخرَ الأبد<sup>(٢)</sup>

## عودة إلى العراق

قد يكون لولى العهد محمد المنتصر يد طول فى عودة المتوكل إلى العراق ، فقد كان ضالماً مع  
 نفر من مريديه ، حتى يستبق ولاية العهد لنفسه ، والبحترى فى هذه القصيدة يهين المنتصر بعودة  
 أبيه ، كما يصف زينة بغداد لاستقباله ، ومضيه إلى سامرا . قال بعد الغزل :

إمامٌ يراهُ أولى عبادِهِ      بحقٌ ، وأهداهم لقصدِ سبيله  
 خليفته فى أرضِهِ ، ووليهُ الـ      رضىً لديهِ ، وابنُ عمِّ رسولهِ<sup>(٣)</sup>  
 وبحرٌ يمدُّ الراغبون عيونَهُم      إلى ظاهرِ المعروفِ فيهم جزيله<sup>(٤)</sup>  
 ترى الأرضُ تُسقى غيثها بمروره      عليها ، وتكسى نبتها بنزوله<sup>(٥)</sup>  
 أتى من بلاد الغرب فى عددِ النقا      نقاً الرملِ : من فرسانهِ ، ونحيوله<sup>(٦)</sup>  
 فأسفرَ وجهُ الشرقِ ، حتى كأنما      تبلج فيه البدرُ بعد أفوله<sup>(٧)</sup>  
 وقد لبست بغدادُ أحسنَ زيها      لإقبالهِ ، واستشرفتْ لعدوله<sup>(٨)</sup>

(١) الصمد : المقصود .

(٢) الأبد : الدهر .

(٣) الرضى : المرضي .

(٤) الجزيل : الكثير .

(٥) الغيث : المطر .

(٦) النقا : القطعة من الرمل .

(٧) أسفر : ظهر . وتبلج : أشرق . والأفول : الغروب .

(٨) استشرفت الشيء : رفع بصره لينظر إليه . وعدوله : انصرافه إليها .

وَيُثْنِيهِ عَنْهَا شَوْقُهُ ، وَنِزَاعُهُ  
إِلَى مَنْزِلٍ فِيهِ أَحِبَّاءُوهُ الْأَلَى  
مَحَلُّ يُطِيبُ الْعَيْشَ رَقَّةً لَيْلِهِ  
لَعَمْرِي ، لَقَدْ آبَ الْخَلِيفَةُ جَعْفَرُ  
دَعَاهُ الْهَوَى فِي «سُرْمَنْ رَاءَ» ؛ فَاَنْكَفَى  
عَلَى أَنَّهَا قَدْ كَانَ بُدِّلَ طِيبُهَا  
وإِفْرَاطُهَا فِي الْقَبِيحِ عِنْدَ خُرُوجِهِ  
لِيَهْنُ ابْنُهُ خَيْرَ الْبَنِينَ : مُحَمَّدًا  
غَدَاً ، وَهُوَ فَرْدٌ فِي الْفَضَائِلِ كُلِّهَا  
وَإِنَّ وُلَاةَ الْعَهْدِ فِي الْحِلْمِ وَالتَّقَى  
إِلَى عَرْضِ صَخْنِ الْجَعْفَرِيِّ وَطُولِهِ (١)  
لِقَاوَهُمْ أَقْصَى مَنَاهُ وَسُؤْلِهِ (٢)  
وَبُرْدُ ضُحَاهُ ، وَاعْتِدَالُ أَصِيلِهِ (٣)  
وَفِي كُلِّ نَفْسٍ حَاجَةٌ مِنْ قُفُولِهِ (٤)  
إِلَيْهَا انْكَفَاءُ اللَّيْثِ تَلْقَاءَ غِيلِهِ (٥)  
وَرُحْلٌ عَنْهَا أَنْسَاهَا بِرَحِيلِهِ  
كَإِفْرَاطِهَا فِي الْحَسَنِ عِنْدَ دُخُولِهِ  
قُدُومُ أَبِي عَلِيٍّ الْمَحَلِّ جَلِيلِهِ  
فَهَلْ مُخْبِرٌ عَنْ مِثْلِهِ أَوْ عَدِيلِهِ (٦)  
وَفِي الْفَضْلِ مِنْ أَمْثَالِهِ وَشُكُولِهِ (٧)

## صُلَحُ بَنِي تَغْلِبِ

ثَارَتْ حَرْبٌ بَيْنَ قَبِيلَةٍ مِنْ قَبَائِلِ الْعَرَبِ فِي الْجَزِيرَةِ ، هِيَ قَبِيلَةُ تَغْلِبِ بْنِ رَبِيعَةَ ، فَكَادَ يَنْفَى  
بَعْضُهَا بِبَعْضٍ ، فَعَنَى الْمُتَوَكَّلُ بِهَذِهِ الْحَرْبِ ، وَعَهْدَ إِلَى وَزِيرِهِ الْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ أَنْ يَصْلَحَ بَيْنَ الْمُتَحَارِبِينَ ؛  
فَأَعَادَ السَّلَامَ بَيْنَهُمْ ، فَأَنْشَأَ الْبَحْثِيُّ قَصِيدَةً يَشْكُرُ بِهَا الْخَلِيفَةَ عَلَى تِلْكَ الْيَدِ ، قَالَ فِيهَا :

أَسِيَّتُ لَأَخْوَالِي رَبِيعَةً إِذْ عَفَّتْ مَصَايِفُهَا مِنْهَا ، وَأَقْرَتُ رُبُوعُهَا (٨)

( ١ ) يُثْنِيهِ عَنْهَا : يَصْرِفُهُ عَنْهَا . وَنِزَاعَ إِلَى الشَّيْءِ : اِشْتَاقَهُ . وَالْجَعْفَرِيُّ : قَصْرُ بَنِيهِ الْمُتَوَكَّلِ فِي سَامَرَا .

( ٢ ) سُؤْلُهُ : مَخْفَفُ سُؤْلِهِ .

( ٣ ) الْأَصِيلُ : الْوَقْتُ بَيْنَ الْعَصْرِ وَالْمَغْرَبِ . ( ٤ ) الْقُفُولُ : الرَّجُوعُ .

( ٥ ) انْكَفَأَ : انْصَرَفَ . وَاللَّيْثُ : الْأَسَدُ . وَالْغِيلُ : أَجْعَةُ الْأَسَدِ .

( ٦ ) الْعَدِيلُ : النُّظِيرُ . ( ٧ ) الشُّكُولُ : جَمْعُ شَكْلٍ ، وَهُوَ : النُّظِيرُ .

( ٨ ) أَسَى : حُزْنٌ . وَعَفَا الْأَثَرَ : امْحَى . وَالْمَصَايِفُ : جَمْعُ مَصِيفٍ . وَأَقْوَى : خَلَا .

وَالرُّبُوعُ : جَمْعُ رُبْعٍ ، وَهُوَ : الدَّارُ .

- بِكُرْهِى أَنْ بَاتَتْ خَلَاءَ دِيَارِهَا (١)  
وَأَمْسَتْ تَسَاقَى الْمَوْتَ مِنْ بَعْدِ مَا غَدَتْ  
إِذَا افْتَرَقُوا عَنْ وَقْعَةٍ جَمَعَتْهُمْ  
تَذُمُّ الْفِتَاةُ الرَّوْدُ شِيْمَةً بَعْلِهَا  
حَمِيَّةُ شَعْبٍ جَاهِلِيٍّ وَعِزَّةُ  
وَفُرْسَانُ هَيْجَاءٍ تَجِيْشُ صُدُورُهَا  
تُقَتِّلُ مِنْ وَتَرٍ أَعَزُّ نَفْسِهَا  
إِذَا احْتَرَبَتْ يَوْمًا ، ففَاضَتْ دِمَاؤُهَا  
شَوَاجِرُ أَرْمَاحٍ تُقَطِّعُ بَيْنَهُمْ  
فَلَوْلَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَطْءُ لَهُ  
وَلَا صُطْلِمَتْ جَرَثُومَةُ تَغْلِيْبِيَّةُ
- وَوَحْشًا مَغَانِيهَا ، وَشَتَّى جُمُوعُهَا (١)  
شَرُوبًا تَسَاقَى الرَّاحِ رَفَهَا بِشُرُوعِهَا (٢)  
لَا أُخْرَى دِمَاءُ مَا يُطَلُّ نَجِيْعُهَا (٣)  
إِذَا بَاتَ دُونَ الشَّارِ ، وَهُوَ ضَجِيْعُهَا (٤)  
كَلَيْبِيَّةُ أَعْيَا الرِّجَالِ خَضُوعُهَا (٥)  
بِأَحْقَادِهَا حَتَّى تَضِيقَ دُرُوعُهَا (٦)  
عَلَيْهَا بِأَيْدٍ مَا تَكَادُ تُطِيعُهَا (٧)  
تَذَكَّرْتُ الْقُرْبَى ، فَفَاضَتْ دَمُوعُهَا (٨)  
شَوَاجِرُ أَرْحَامٍ مَلُومٍ قَطُوعُهَا (٩)  
لِعَادَتِ جُيُوبٌ ، وَالدِّمَاءُ رُدُوعُهَا (١٠)  
بِهِ اسْتَبْقِيَتْ أَغْصَانُهَا ، وَفَرُوعُهَا (١١)

- (١) الوحش : الخالى . والمغانى : جمع مغنى ، وهو المنزل .  
(٢) تساقى : تتساقى : يسقى بعضها بعضاً . شروب : كثيرة الشرب . والراح : الخمر .  
والرفه : مصدر رفهت الإبل ، أى وردت الماء كل يوم متى شاءت . والشروع : ورود الماء .  
(٣) طل دمه : هدر ، ولم يثار له . والنجيع من الدم : ما كان مائلاً إلى السواد .  
(٤) الرود : اللينة .  
(٥) الحمية : الأنفة . وكليبية : منسوبة إلى كليب وائل من ربيعة ، يضرب المثل بعزته .  
وأعيا : أعجز .  
(٦) والهيحاء : الحرب . وجاشت القدر : غلت .  
(٧) الوتر : الانتقام .  
(٨) احترب القوم : أوقدوا نار الحرب .  
(٩) شواجر أرماع : أرماع مشبكة متداخل بعضها فى بعض .  
(١٠) الطول : الفضل والقدرة . والجيوب : جمع جيب ، وهو فتحة فى القميص يلبس منها .  
والردوع : من ردعه : لطمه . والمعنى : لولا فضل أمير المؤمنين لحدث تمزق فى القبيلة تلمطه الدماء .  
(١١) اصطم الشيء : استأصله . والجراثومة : الأصل .



رَفَعْتَ بِضُبْعَيْ تَغْلِبَ ابْنَةِ وائِلٍ      وَقَدْ يَثِيسَتْ أَنْ يَسْتَقِلَّ صَرِيْعُهَا (١)  
 وَكُنْتَ أَمِينَ اللَّهِ مَوْلَى حَيَاتِهَا      وَمَوْلَاكَ فَتَحَ يَوْمَ ذَاكَ شَفِيعُهَا  
 لَعَمْرِي ، لَقَدْ شَرَّفَتْهُ بِصُنِيْعَةٍ      إِلَيْهِمْ ، وَنُعْمَى ظِلٌّ فِيهِمْ يُشِيعُهَا (٢)  
 تَأَلَّفَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا شَرَّدَتْ بِهِمْ      حَفَائِظُ . أَخْلَاقٍ بَطِيٍّ رَجُوعُهَا (٣)  
 فَأَبْصَرَ غَادِيَهَا الْمَحْجَّةَ ؛ فَاهْتَدَى      وَأَقْصَرَ غَالِيَهَا ، وَدَانَى شُسُوعُهَا (٤)  
 وَأَمْضَى قَضَاءَ بَيْنِهَا ؛ فَتَحَاجَزَتْ      وَمَخْفُوضُهَا رَاضٍ بِهِ ، وَرَفِيعُهَا (٥)  
 فَقَدَرُكُزَّتْ سُمْرُ الرِّمَاحِ وَأَغْمِدَتْ      رِقَاقُ الظُّبَى : مَجْفُوهَا ، وَصُنِيْعُهَا (٦)  
 فَقَرَّتْ قُلُوبٌ كَانَ جَمًّا وَجِيْبُهَا      وَنَامَتْ عَيُونٌ كَانَ نَزْرًا هُجُوعُهَا (٧)  
 أَتَتْكَ ، وَقَدْ ثَابَتْ إِلَيْهَا حُلُومُهَا      وَبَاعَدَهَا عَمَّا كَرِهَتْ نَزُوعُهَا (٨)  
 تُعِيدُ ، وَتُبْدِي مِنْ ثَنَاءٍ كَأَنَّهُ      سِبَائِبُ رَوْضِ الْحَزَنِ جَادَ رَبِيعُهَا (٩)

- ( ١ ) الضبع : العضد . ورفع بضبعيه : أنهضه . ويستقل : ينهض . والصريع : المطروح على الأرض .  
 ( ٢ ) الصنيعة : الإحسان . وأشاع الخير : أذاعه .  
 ( ٣ ) شرد : نفر . والحفيظة : الغضب والحمية فيما يحفظ .  
 ( ٤ ) الغاوى : الفصال . والمحجة : جادة الطريق ووسطه . وأقصر : أمسك . والغالى : المتجاوز الحد . ودانى : قارب . والشسوع : البعيد .  
 ( ٥ ) أمضى : أنفذ . وتحاجزت : منع بعضها بعضاً  
 ( ٦ ) ركزت : دفنت . ورقاق : جمع رقيقة . والظبي : جمع ظبة ، وهى : حدة السيف ومجفوها : الغليظ منها . وصنيعها ، أى المصنوعة صنعا جيلا .  
 ( ٧ ) قر : ثبت وسكن . وجما : كثيراً . وجيب القلب : ارتجافه وخفقانه . والنزر : القليل . والهجوع : النوم .  
 ( ٨ ) ثاب إليه : رجع . والحلوم : العقول . ونزع عن كذا : كف ، وانتهى عنه ، يريد نزوعها عن الحرب .  
 ( ٩ ) السبائب : الشقق ، وهى : جمع شقة ، والشقة : ما شق من ثوب أو نحوه مستطيلا . والحزن : الأرض الغليظة . والروض فى الحزونة أحسن منه فى السهولة . وجاد : أمطر .

تَصُدُّ حَيَاءً أَنْ تَرَكَ بِأَعْيُنٍ      أَتَى الذَّنْبَ عَاصِيهَا فَلِيَمَ مُطِيعُهَا  
 وَلَا عُذْرَ إِلَّا أَنْ حِلْمَ حَلِيمِهَا      يُسْفَهُ فِي شَرِّ جَنَاهِ خَلِيعُهَا<sup>(١)</sup>  
 بَقِيتَ ، فَكَمْ أَبْقَيْتَ بِالْعَفْوِ مُحْسِنًا      عَلَى تَغْلِبٍ ، حَتَّى اسْتَمَرَّ ظَلِيعُهَا<sup>(٢)</sup>  
 وَمُشْفِقَةٍ تَخْشَى حِمَامًا عَلَى ابْنِهَا      لِأَوَّلِ هَيْجَاءٍ تَلَاقَى جُمُوعُهَا<sup>(٣)</sup>  
 رَبَطْتَ بِصَلَحِ الْقَوْمِ نَافِرَ جَاشِئِهَا      فَقَرَّ حَشَاهَا ، وَاطْمَأَنَّتْ ضَالُوعُهَا<sup>(٤)</sup>

### موكب الخليفة

كان الخليفة العباسي يخرج في موكب حافل لصلاة العيد ، وكان يخطب الناس في ذلك اليوم والبهتري يصف هذا الموكب ، تتقدمه فرق الجيش . ويحتفل به الشعب ، ثم يصف الخليفة المتوكل . متواضعا برغم هذه المظاهر ، محبوباً من الشعب ، وخطيباً بليغاً ، إذ يقول بعد مقدمة غزلية :

اللَّهُ مَكْنٌ لِلْخَلِيفَةِ : جَعْفَرُ      مُلْكًا يُحَسِّنُهُ الْخَلِيفَةُ : جَعْفَرُ  
 نَعْمَى مِنْ اللَّهِ اصْطَفَاهُ بِفَضْلِهَا      وَاللَّهُ يَرْزُقُ مِنْ يَشَاءُ . وَيَقْدُرُ<sup>(٥)</sup>  
 فَاسْلَمَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا تَزَلْ      تُعْطَى الزِّيَادَةُ فِي الْبَقَاءِ ، وَتُشْكَرُ  
 بِالْبِرِّ صُمْتَ ، وَأَنْتَ أَفْضَلُ صَائِمٍ      وَبِسُنَّةِ اللَّهِ الرِّضِيَّةِ تُفْطَرُ  
 فَانْعَمْ بِيَوْمِ الْفَطْرِ عَيْنًا ؛ إِنَّهُ      يَوْمٌ أَغْرُ مِنْ الزَّمَانِ مُشْهَرُ<sup>(٦)</sup>  
 أَظْهَرْتَ عِزَّ الْمُلْكِ فِيهِ بِجَحْفَلٍ      لَجِبٍ يُحَاطُ الدِّينُ فِيهِ وَيُنْصَرُ<sup>(٧)</sup>

(١) يسفه : ينسب إلى السفه . والخليع : المهتك .

(٢) ظلع في مشيه : غمز .

(٣) الحمام : الموت . وتلاقى : تتلاقى .

(٤) النافر : الشارد . والجاش : القلب .

(٥) قدر الرزق : قسمه .

(٦) أغر : أبيض ، من غر الشيء : أبيض . ومشهر : مظهر .

(٧) الجحفل : الجيش . واللجب : الشديده الجلبة .

خَلْنَا الْجِبَالَ تَسِيرٌ فِيهِ ، وَقَدْ غَدَت  
 فَالْخَيْلُ تَصْهَلُ ، وَالْفَوَارِسُ تَدْعِي  
 وَالْأَرْضُ خَاشِعَةٌ تَمِيدُ بِثِقَلِهَا  
 وَالشَّمْسُ مَاتِعَةٌ ، تَوَقَّدُ بِالضُّحَا  
 حَتَّى طَلَعَتْ بِضُوءِ وَجْهِكَ ؛ فَاَنْجَلَتْ  
 وَرَنَا إِلَيْكَ النَّاظِرُونَ فَاِصْبَحُ  
 يَجِدُونَ رُؤْيَاكَ الَّتِي فَازُوا بِهَا  
 ذَكَرُوا بِطَاعَتِكَ النَّبِيَّ ؛ فَهَلَّلُوا  
 حَتَّى انْتَهَيْتَ إِلَى الْمَصَلِيِّ لَا بَسًا  
 وَمَشَيْتَ مِشْيَةً خَاشِعٍ مُتَوَاضِعٍ  
 فَلَوْ أَنَّ مُشْتَاقًا تَكَلَّفَ فَوْقَ مَا  
 أُيِّدَتْ مِنْ فَصْلِ الْخُطَابِ بِحِكْمَةٍ  
 وَوَقَفْتَ فِي بُرْدِ النَّبِيِّ مُذَكِّرًا

عُدَدًا يَسِيرُ بِهَا الْعَدِيدُ الْأَكْثَرُ  
 وَالْبَيْضُ تَلْمَعُ ، وَالْأَسْنَةُ تَزْهَرُ (١)  
 وَالْجَوُّ مُعْتَكِرُ الْجَوَانِبِ أَغْبَرُ (٢)  
 طَوْرًا ، وَيَطْفِئُهَا الْعَجَاجُ الْأَكْدَرُ (٣)  
 تِلْكَ الدُّجَى ، وَانْجَابَ ذَاكَ الْعِثِيرُ (٤)  
 يَوْمًا إِلَيْكَ بِهَا ، وَعَيْنٌ تَنْظُرُ (٥)  
 مِنْ أَنْعَمَ اللَّهُ الَّتِي لَا تُكْفَرُ (٦)  
 لَمَّا طَلَعْتَ مِنَ الصَّفُوفِ ، وَكَبَّرُوا (٧)  
 نَوْرَ الْهَدَى يَبْدُو عَلَيْكَ ، وَيَظْهَرُ  
 لِلَّهِ لَا يُزْهَى ، وَلَا يَتَكَبَّرُ (٨)  
 فِي وَسْعِهِ لَسَعَى إِلَيْكَ الْمَنِيرُ  
 تُنْبِئُ عَنِ الْحَقِّ الْمُبِينِ ، وَتُخْبِرُ (٩)  
 بِاللَّهِ ، تُنْذِرُ تَارَةً ، وَتُبَشِّرُ (١٠)

(١) ادعى الشيء : زعم أنه له ، حقاً أو باطلا . والبيض : السيوف . والأسنة : جمع سنان ، وهو : نصل الرمح . وتزهر : تتلألأ .

(٢) خشع : تطامن . ومعتكر : شديد السواد . وأغبر : له لون الغبار .

(٣) ماتهة : بلغ ضوؤها غايته . والعجاج : الغبار . والأكدر : المائل إلى السواد .

(٤) الدجى : الظلمات . وانجاب : انكشف . والعثير : التراب .

(٥) رنا إليه : أدام النظر إليه بسكون طرف . وأوماً : أشار .

(٦) تكفر : تستر . (٧) هللوا : رفعوا أصواتهم باسم الله .

(٨) زها : تكبر .

(٩) أيده : قواه . وفصل الخطاب : الخطاب الفاصل بين الحق والباطل .

(١٠) البرد : الثوب المخطط .

ومواعظ. شَفَتَ الصدورَ من الذي  
حتى لقد علمَ الجهولُ ، وأَخْلَصَتْ  
صَلُّوا ورائَكَ آخِذِينَ بِعِصْمَةٍ  
فاسلَمَ بِمَغْفِرَةِ الإلهِ ، فلم يزلْ  
اللهُ أعطاكَ المحبةَ في الوري  
ولأنتَ أَمَلًا للعيونِ لَدَيْهِمْ  
يعتادُها ، وشفأوها متعذِّرُ  
نفسُ المروى، واهتدى المتَّحِيرُ<sup>(١)</sup>  
من رَبِّهِمْ ، وبذمة لا تُخْفَرُ<sup>(٢)</sup>  
يَهَبُ الذنوبَ لمن يشاءُ ، ويغفِرُ  
وحباك بالفضلِ الذي لا يُنكَرُ<sup>(٣)</sup>  
وأجلُّ قدرًا في الصدورِ ، وأكبرُ

### ولاية العهد

تشبه المتوكل على الله بهارون الرشيد . فولى عهده أولاده الثلاثة : المنتصر ، والمعز ، والمؤيد ؛  
فأثنى البحري على هذا التقليد . وقال :

أحيَا الخليفةُ جعفرُ بفعاله  
تتكشَّفُ الأيامُ من أخلاقه  
حاط الرعيَّةَ حين ناط أمورَها  
قدَّامهم نورُ النبيِّ . وخافهم  
لن يجهلَ الساري المحجَّةَ بعد ما  
أفعال آباءٍ له وجسود  
عن هدى مهديٍّ ، ورُشد رشيد<sup>(٤)</sup>  
بثلاثة بكرٍ وولاية عهود<sup>(٥)</sup>  
هدى الإمام القائم المحمود<sup>(٦)</sup>  
رُفعت لنا منهم بدورُ سُعود<sup>(٧)</sup>

(١) المروى : المطيل التفكير .

(٢) العصمة : كل ما منع به الشيء . وتخفر : ينقض عهدها .

(٣) حباه به : أعطاه إياه .

(٤) في البيت إشارة إلى الخليفين : المهدي ، والرشيد .

(٥) حاطه : حفظه وتعهده . وناطه : علقه .

(٦) الإمام القائم : يريد به المتوكل . (٧) المحجة : جادة الطريق ووسطه .

كانوا أحقَّ بعقدِ بيعتها ضحاً      وبنظم لؤلؤ تاجها المعقود  
 عرفوا بسيماها ، فليس لمُدّع      من غيرهم فيها سوى الجلمود<sup>(١)</sup>  
 فنيّت أحاديثُ النفوس بذكرها      وأفاق كلُّ مُنافِسٍ وحسود  
 واليأسُ إحدى راحتين ، ولن ترى      تعباً كظنِّ الخائبِ المكدود<sup>(٢)</sup>  
 فاسلمَ أميرَ المؤمنين ، ولا نزل      مُستغلياً بالنصر والتأييد  
 نعتدُّ عزَّكَ عزَّ دينِ محمدٍ      ونرى بقائك من بقاء الجود

### إنصاف العلويين

لَقِيَ العلويون عسفاً واضطهاداً في أيام المتوكل ، فلما تولى المنتصر أزال عنهم ما شملهم من  
 حيف ، فسجل له البحري تلك المعاملة الكريمة ، إذ قال من قصيدة طويلة يمدحه بها ، بعد مقدمة  
 غزلية :

حَجَجْنَا البنيةَ شُكراً لما      حباناً به الله في المنتصر<sup>(٣)</sup>  
 تطوّلَ بالعدلِ لما قضى      وأجملَ في العفو لما قدر<sup>(٤)</sup>  
 رَدَدْتَ المظالمَ ، واسترجعتُ      يداك الحقوقَ لمن قد قهرُ  
 وآلُ أَبِي طالبٍ بعد ما      أذيعَ بسربِهم ، فابذعرو<sup>(٥)</sup>  
 ونالتُ أدانيهم جفوة      تكادُ السماءُ لها تنفطر<sup>(٦)</sup>

(١) السيمياء : الهيئة والعلامة . والجلمود : الصخر .

(٢) المكدود : المتعب .

(٣) البنية : الكعبة . وجباه به : أعطاه إياه .

(٤) تطوّل : أنعم .

(٥) السرب : الجماعة . وابذعرو : تفرق .

(٦) الجفوة : القطيعة . وتنفطر : تنشق .



وصلت شوايك أرحامهم      وقد أوشك الحبل أن ينبت<sup>(١)</sup>  
 فقربت من حظهم ما نأى      وصفت من شربهم ما كدر<sup>(٢)</sup>  
 وأين بكم عنهم ، واللقا      لا عن تناء ، ولا عن عفر<sup>(٣)</sup>  
 قرابتكم ، بل أشقاؤكم      وإخوتكم دون هذا البشر  
 يشاد بتقديمكم في الكتاب      وتلى فضائلكم في السور<sup>(٤)</sup>  
 وإن علياً لأولى بكم      وأزكى يداً عندكم من عمر  
 وكل له فضله ، والحجو      ل يوم التفاضل ، دون الغر<sup>(٥)</sup>  
 بقيت إمام الهدى للهدى      تجدد من نهج ما دثر<sup>(٦)</sup>

### خليفة قتيل

شهد البحري قتل المتوكل ، فكان لذلك أثر كبير في نفسه ، ورثاء بهذه القصيدة التي بدأها بالحنن على مصير القصر الجعفرى الذى كان يسكنه الخليفة ، ثم تحدث عن مصرعه ، وغيبة أنصاره عنه ، وخطه على قاتليه ، وبخاصة ولى العهد الذى كان ضالماً مع القتلة ، وختماً برجائه أن يقتص الله من ظالميه :

محل على القاطول أخلق دائرة      وعادت صروف الدهر جيشاً تغاور<sup>(٧)</sup>

( ١ ) الشوايك : المشتبكة . وينبت : ينقطع .

( ٢ ) نأى : بعد .

( ٣ ) التناى : التباعد . وعفره : ضرب به الأرض . يريد قهره . ومعنى البيت : كيف

تبعدون عنهم ، ولا تلقونهم لقاء الوادين ، لا لقاء النافرين عنهم ، الراغبين في إذلالهم .

( ٤ ) يريد بالكتاب : القرآن .

( ٥ ) الحجول : بياض في القوائم . وتفاضل الرجلان : ادعى كل منهما الفضل على صاحبه .

والغرر : جمع غرة ، وهى بياض في جبهة الفرس .

( ٦ ) النهج : الطريق الواضح . ودثر : بلى واحى .

( ٧ ) القاطول : نهير من دجلة كان في موضع سامرا ، كان عليه القصر الجعفرى . وأخلق :

بلى . والداثر : البالى . وصروف الدهر : نوازه . وتغاوره : تحاربه .

كَأَنَّ الصَّبَا تُوفِي نُدُورًا إِذَا انْبَرَتْ  
وَرُبَّ زَمَانٍ نَاعِمٍ ثُمَّ عَهْدُهُ  
تَغْيِيرٌ حُسْنُ الْجَعْفَرِيِّ وَأَنْسُهُ  
تَحْمَلٌ عَنْهُ سَاكِنُوهُ فُجَاءَةٌ  
إِذَا نَحْنُ زُرْنَاهُ أَجَدُّ لَنَا الْأَسَى  
وَلَمْ أَنْسَ وَخَشَّ الْقَصْرِ إِذْ رِيعَ سِرْبُهُ  
وَإِذْ صَبَحَ فِيهِ بِالرَّحِيلِ ، فَهَتَّكَتْ  
وَوَحْشَتَهُ . حَتَّى كَأَنَّ لَمْ يُقِمْ بِهِ  
كَأَنَّ لَمْ تَبِتْ فِيهِ الْخِلَافَةُ طَلْقَةً  
وَلَمْ تَجْمَعِ الدُّنْيَا إِلَيْهِ بِهَاءِهَا

تَرَاوَحُهُ أَذْيَالُهَا . وَتُبَاكُرُهُ (١)  
تَرَقُّ حَوَاشِيهِ ، وَيُورِقُ نَاضِرُهُ (٢)  
وَقَوْضُ بَادِي الْجَعْفَرِيِّ وَحَاضِرُهُ (٣)  
فَعَادَتِ سِوَاءَ دُورِهِ وَمَقَابِرُهُ (٤)  
وَقَدْ كَانَ قَبْلَ الْيَوْمِ يُبْهَجُ زَائِرُهُ (٥)  
وَإِذْ ذُعِرَتْ أَطْلَاؤُهُ وَجَاذِرُهُ (٦)  
عَلَى عَجَلٍ أَسْتَارُهُ وَسَتَائِرُهُ (٧)  
أَنْيَسٌ ، وَلَمْ تَحْسُنْ لَعَيْنٍ مَنَاطِرُهُ (٨)  
بَشَاشَتُهَا ، وَالْمُلْكُ يُشْرِقُ زَاهِرُهُ (٩)  
وَبِهْجَتُهَا ، وَالْعَيْشُ غَضُّ مَكَاسِرِهِ (١٠)

- ( ١ ) الصبا : ريح طيبة تهب من الشرق . وتوفى نذورا ، أى كأن ذلك نذر عليها لهذا القصر .  
وتراوحه : تتناوبه وقت الرواح أى آخر النهار . وتباكره : تهب عليه بكرة ، أى صباحاً .
- ( ٢ ) زمان ناعم : أى ناعم أهله . وحواشيه : جوانبه . وترق حواشيه بمعنى أن أوقاته سعيدة .  
والشجر الناضر : الحسن . يريد أنه كان عهداً جميلاً .
- ( ٣ ) قوض : تهدم . وباده : ما كان فيه مما جلب من البادية . وحاضره : ما جلب فيه  
من وسائل الحضارة .
- ( ٤ ) تحمل : ارتحل . وسواء : متساوية في إقفارها وخلوها من الأحياء .
- ( ٥ ) أجد لنا الأسى : جدد لنا الحزن .
- ( ٦ ) وخش القصر : نساؤه الجميلات الشبهات بالبقر الوحشي في جمال العيون . وريع :  
أفرغ . والسرب : الجماعة . والأطلاء : جمع طلا ، وهى الظبية .. والجاذر : جمع جذر ، وهو :  
ولد البقرة الوحشية . يشبه أبناء القصر بها لما فزعوا وشتتوا لمصرع الخليفة .
- ( ٧ ) هتكت : مزقت . والأستار : جمع ستر . والستائر : جمع ستارة .
- ( ٨ ) الوحشة : الخلو .
- ( ٩ ) طلقة : مشرقة ضاحكة . والبشاشة : طلاقة الوجه . والزاهر : الحسن المشرق من الألوان .
- ( ١٠ ) البهاء : الجمال . والبهجة : الحسن . وغض : ناعم طرى . ومكاسره : جمع مكسر ،  
ويقال : عود طيب المكسر : أى محمود .

فَأَيْنَ الْحِجَابُ الصَّعْبُ حَيْثُ تَمَنَّعْتُ      بِهَيْبَتِهَا أَبْوَابُهُ وَمَقَاصِرُهُ (١)  
وَأَيْنَ عَمِيدُ النَّاسِ فِي كُلِّ نَوْبَةٍ      تَنُوبُ . وَنَاهِي الدَّهْرِ فِيهِمْ وَأَمْرُهُ (٢)  
تَخْفَى لَهُ مُغْتَالُهُ تَحْتَ غِرَّةٍ      وَأَوَّلِي لِمَنْ يَغْتَالُهُ لَوْ يُجَاهِرُهُ (٣)  
فَمَا قَاتَلْتَ عَنْهُ الْمَنَايَا جُنُودَهُ      وَلَا دَافَعْتَ أَمْلَاكُهُ وَذَخَائِرُهُ (٤)  
وَلَا نَصَرَ الْمُعْتَزُّ مَنْ كَانَ يُرْتَجَى      لَهُ ، وَعَزِيزُ الْقَوْمِ مَنْ عَزَّ نَاصِرُهُ (٥)  
تَعَرَّضَ نَصْلُ السَّيْفِ مِنْ دُونِ فَتْحِهِ      وَغُيِّبَ عَنْهُ فِي خُرَاسَانَ طَاهِرُهُ (٦)  
وَلَوْ عَاشَرَ مَيِّتٌ ، أَوْ تَقَرَّبَ نَازِحٌ      لِدَارَتْ مِنَ الْمَكْرُوهِ ثُمَّ دَوَائِرُهُ (٧)  
وَلَوْ لَعْبِيدُ اللَّهِ عَوْنٌ عَلَيْهِمْ      لَضَاقَتْ عَلَى وَرَادٍ أَمْرٍ مَصَادِرُهُ (٨)  
حُلُومٌ أَضَلَّتْهَا الْأَمَانِي ، وَمُدَّةٌ      تَنَاهَتْ ، وَحَتَفٌ أَوْشَكَتْهُ مَقَادِرُهُ (٩)

- (١) تمنع به : احتذى به . والمقاصر : جمع مقصورة ، وهي الحجرة من البيت .  
(٢) عميد الناس : سيدهم ، يريد به الخليفة ، والنوبة : النازلة . وناهي الدهر ... المتصرف النافذ الحكم ، كأنه يمل على الدهر ما يريد .  
(٣) تخفى : تستر وتوارى . ومغتاله : قاتله غيلة . والغرة : الغفلة .  
(٤) ذخائر : جمع ذخيرة ، وهي الحجا لوقت الحاجة .  
(٥) المعتز : من يعد نفسه عزيزاً بسواه ، فيكون معتزاً به . وعز ناصره : قوى معينه .  
(٦) نصل السيف : حده . وفتحه : الفتح بن خاقان ، نديم المتوكل الذي قتل معه أيضاً . وطاهره : طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين والي خراسان في ذلك الحين .  
(٧) النازح : البعيد . ومعنى البيت : لو عاش هذا النديم ، أو كان ذلك الغريب حاضراً لحدثت أمور عظيمة ، ولانتقم للمقتول .  
(٨) عبيد الله : هو عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير المتوكل . والوراد : الذين يردون الماء أو الأمور . وضائق مصادره : عز الخلوص منه . ومعنى البيت : لو يمان عبيد الله على قتله لأخلفهم ، فلا يفلتون من عقابه .  
(٩) حلوم جمع حلم (بالكسر) ، وهو العقل . والحتف : الموت . وأوشكته : قربته . والمقادر : جمع مقدار ، وهو : القدر . ويشير بذلك إلى المنتصر بن المتوكل وشيعته من الأتراك الذين تأمروا على قتل الخليفة .

وَمُغْتَصَبٌ لِلْقَتْلِ لَمْ يُخَشَّ رَهْطُهُ  
صَرِيعٌ تَقَاضَاهُ السِّیُوفُ حُشَّاشَةً  
أَدَافِعُ عَنْهُ بِالْيَدَيْنِ ، وَلَمْ يَكُنْ  
وَلَوْ كَانَ سِیْفِي سَاعَةَ الْفَتْلِ فِي يَدِي  
حَرَامٌ عَلَيَّ الرَّاحُ بَعْدَكَ ، أَوْ أَرَى  
وَهْلَ أَرْتَجِي أَنْ يَطْلُبَ الدَّمَّ وَاتِرٌ  
أَكَانَ وَلِيَّ الْعَهْدِ أَضْمَرَ غَدْرَةً  
فَلَا مَلَى الْبَاقِي تَرَاثَ الَّذِي مَضَى  
وَلَا وَالَ الْمَشْكُوكُ فِيهِ ، وَلَا نَجَا  
وَلَمْ تُحْتَشَمِ أَسْبَابُهُ وَأَوَاصِرُهُ (١)  
يَجُودُ بِهَا ، وَالْمَوْتُ حُمُرٌ أَظَا فِرُهُ (٢)  
لِيَشْنِي الْأَعَادَى أَعْزَلَ اللَّيْلِ حَاسِرُهُ (٣)  
دَرَى الْفَاتِكُ الْعَجْلَانُ كَيْفَ أُسَاوِرُهُ (٤)  
دَمًا بَدَمٍ يَجْرِي عَلَى الْأَرْضِ مَائِرُهُ (٥)  
يَدَ الدَّهْرِ ، وَالْمَوْتُورُ بِالدَّمِّ وَاتِرُهُ (٦)  
فَمِنْ عَجَبٍ أَنْ وَلِيَّ الْعَهْدِ غَادِرُهُ (٧)  
وَلَا حَمَلَتْ ذَاكَ الدُّعَاءَ مَنَابِرُهُ (٨)  
مِنَ السِّیْفِ نَاضِي السِّیْفِ غَدْرًا وَشَاهِرُهُ (٩)

- ( ١ ) الرهط : القبيل والجماعة ، وتحتشم : يستحي منها . والأسباب والأواصر : الصلوات التي تربط بينه وبين قاتله .
- ( ٢ ) تقاضاه السيوف : تأخذ منه . يقال : تقاضاه الدين : إذا طلبه وقبضه منه . والحشاشة : بقية الروح من المريض والجريح .
- ( ٣ ) أعزل الليل : أعزل في الليل . والأعزل : من لا سلاح معه . ويريد نفسه . وحاسره : لا درع معه في هذا الليل .
- ( ٤ ) الفاتك : القاتل على غفلة . والعجلان : المسرع . وأساوره : أوائبه ، وأدافعه .
- ( ٥ ) الراح : الحمر . أو أرى : إلى أن أرى . والمائر : الجاري .
- ( ٦ ) الواتر : الآخذ بالثار . ويد الدهر : مد زمانه . والموتور : من قتل له قتيلا ، فلم يأخذ بدمه أحداً . والواتر : من أحدث وتراً . ومعنى البيت : كيف أرتجى الثار للخليفة مع أن صاحب الثار هو ابنه المنتصر الذي قتله ، فهو واتر وموتور معاً . والاستفهام للنفي .
- ( ٧ ) ولي العهد : هو المنتصر الذي خاف أن ينقل أبوه ولاية العهد إلى أخيه المعتز . والغدرة : الخيانة ونقض العهد .
- ( ٨ ) ملئ التراث : تمتع به طويلاً . يدعو الشاعر على المنتصر ألا يتمتع بميراث أبيه ، وألا يخلفه ، ولا يدعى له على المنابر .
- ( ٩ ) وال : نجا . ونضاً السيف : سله من غمده . وشهر سيفه : انتضاه ، فرفعه على الناس .

لَنِعْمَ الدَّمُ الْمَسْفُوحُ لَيْلَةً جَعْفَرٍ      هَرَقْتُمْ ، وَجُنَحُ اللَّيْلِ سُودٌ دَيَّاجِرُهُ (١)  
 كَأَنَّكُمْ لَمْ تَعْلَمُوا مَنْ وَلِيُّهُ      وَبَاغِيهِ تَحْتَ الْمُرْهَفَاتِ وَثَائِرُهُ (٢)  
 وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تُرَدَّ أُمُورُكُمْ      إِلَى خَلْفٍ مِنْ شَخْصِهِ لَا يَغَادِرُهُ (٣)  
 مُقَلَّبٍ آرَاءٍ ، تُخَافُ أَنْاتُهُ      إِذَا الْأَخْرَقُ الْعَجَلَانُ خَيفَتْ بُوَادِرُهُ (٤)

## ٢ - الشاعر الاجتماعي

### مغنٌ بغِيضٌ

ساء البحري في هذه القصيدة خلقة المغنى ، وسوء أدائه للغناء فقال :

مُغْنِيكَ لِلْبُغْضِ فِيهِ سِمَةٌ      تَلُوحُ عَلَى خِلْقَةٍ مَبْهَمَةٍ (٥)  
 تَزِيدُ الْإِهَانَةَ فِي حَالِهِ      صِلَاحًا ، وَتُفْسِدُهُ التَّكْرَمَةَ (٦)  
 يُرْعِشُ لَحْيِيهِ عِنْدَ الْغِنَاءِ      كَأَنَّ بِهِ النَافِضَ الْمُؤَلَمَةَ (٧)

(١) هَرَقْتُمْ : أَرَقْتُمْ . وَجُنَحُ اللَّيْلِ : طائفة منه . والدَيَّاجِرُ : جمع دَيَّاجِرٍ ، وهو الظلام .

(٢) وَلِيهِ : صاحب دمه المطالب به . وَبَاغِيهِ : باغى الثأر له . وَالْمُرْهَفَاتِ : السيوف المرققة .

وَتَائِرُهُ : من يشور في طلب الثأر له .

(٣) إِنِّي لَأَرْجُو . . أى آمل أن يبق الحكم في ذريته ، لا يخرج منها .

(٤) مُقَلَّبٍ آرَاءٍ : ينظر في الأمور ، ويتدبرها . وَيَأْخُذُ أَحْكَمَهَا . وَالْأَنَاةُ : التأنى .

وَتُخَافُ أَنْاتُهُ : يرهب تدبيره في الأناة . وَالْأَخْرَقُ : الضعيف الرأى . وَالْبُوَادِرُ : جمع بادرة ، وهى : الحدة : وما يبدو في الغضب من غير روية . وَخَيفَتْ بُوَادِرُهُ ، أى خشيت عجلته التى تكون خطراً على الأمور .

(٥) يُخَاطَبُ الشَّاعِرُ بِهَذِهِ الْقِطْعَةِ مِنْ سَمْعِ الْمَغْنَى عِنْدَهُ . وَالسِّمَةُ : العلامة . وَالْمَبْهَمَةُ : الغامضة .

(٦) التَّكْرَمَةُ : الإكرام .

(٧) اللَّحَى : عظم الحنك الذى عليه الأسنان . وَالنَّافِضُ : حمى الرعدة .



ومنتشرُ الحلقِ ، وَاهى اللّٰهَةِ      إذا مَاشدا ، فاحشُ الغلصمة<sup>(١)</sup>  
 وأنفٌ إذا احمرَّ في وجهه      وقام توهُّمتهُ مِخْجَمَةً<sup>(٢)</sup>  
 فكم شَذَرَةٌ ثمَّ مَنَسِيَّةٌ      أطبَحَتْ ، وكم نَغْمَةٌ مُدْغَمَةٌ<sup>(٣)</sup>  
 عرائدهُ أبداً جَمَّةٌ      وأخلاقه كَزَّةٌ مَظْلِمَةٌ<sup>(٤)</sup>  
 كثيرُ التَّفَلُّتِ والإِعْتِراضِ      شديدُ التَّفَلُّتِ والهِمَمَةِ<sup>(٥)</sup>  
 يجيئُ بما هو أهلٌ له      فلولا الحياءُ كسرنا فَمَه

### ثياب جميلة وأخلاق سمجة

يشكو في هذه القطعة من أناس أشقاء اتصل بهم ، يرتدون جميل الحلل ، ويتخلقون بأسوأ الخلال :

وأين يكونُ مغْتَرِبٌ بدهر      شَرِيدٌ في حوادثِهِ طَرِيدٌ<sup>(٦)</sup>  
 وخلفني الزمانُ على أناسٍ      وجوهُهُم وأيديهم حديدٌ<sup>(٧)</sup>  
 لهم حُلٌّ - سُنٌّ ، فهنَّ بيضُ      وأخلاقٌ سَمُجَنٌ ، فهنَّ سودٌ<sup>(٨)</sup>  
 وأخلاقُ البغالِ ، فكلُّ يومٍ      يَعمُنُ لِبعضِهِم خُلُقٌ جَدِيدٌ<sup>(٩)</sup>

(١) منتشر : منبسط . والواهى : مسترخى الرباط . واللّاهة : اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم . وشدا : غنى . والفاحش : القبيح ، وكل شيء جاوز الحد . والغلصمة : اللحم بين الرأس والعنق .

(٢) المحجمة : آلة الحجم .

(٣) الشذرة (في الأصل) : خروزة تفصل بها بين الجواهر في النظم . ويريد بها هنا : ما يفصل به بين أجزاء الفناء .

(٤) العرائد : جمع عريد ، وهى العادة . والكز : الضيق .

(٥) التفلت : التخلص . والهممة : التكلم بالكلام الخفى .

(٦) الشريد : الطريد . (٧) حديد : جامد لا تلين .

(٨) سمج : قبيح . (٩) يعمن : يظهر .

وأكثر ما لسائلهم لديهم إذا ما جاء قولهم : تعود  
أناس لو تأملهم لبيد بكى الخلف الذى يشكو لبيد<sup>(١)</sup>

### جار ثقیل

يصف الشاعر في هذا النص جاراً ملحاحاً في طلب الطعام والشراب يدعى : ابن جبير ؛ قد منح  
معدة قوية لا يكاد الطعام يلتق فيها حتى تهضمه وتطلب سواء ، ولا يلبث الخوان أن يوضع أمامه ،  
حتى يقبل عليه في شراهة يخاف رائيها أن يموت بها خنيقاً :

زائر زارنى ، ليسأل عن حالى ، كما يسأل الصديق الصديقاً  
كيف حالى ، وقد غدا ابن جبير  
غادياً ، رائحاً على ، فما يت  
يقتضيني الغداء ، والشمس لم تب  
معدة أولية كرحى البز  
ويد ما تزال ترمى بأحجا  
وكان الفتى يطعم ركائيا

لى ، كما يسأل الصديق الصديقاً  
لى دون الإخوان جاراً لصيقاً<sup>(٢)</sup>  
ركنى أن أريح ، أو أن أفيقاً<sup>(٣)</sup>  
زغ طلوعاً ، ولم تبليج شروقا<sup>(٤)</sup>  
ر : يلقي حباً ، وتلقى دقيقاً<sup>(٥)</sup>  
ر من اللقم ، تعجز المنجنيقاً<sup>(٦)</sup>  
قد تهورن أو يسد بشوقاً<sup>(٧)</sup>

(١) يشير بهذا البيت إلى قول لبيد :

ذهب الذين يعاش في أكناهم وبقيت في خلف كجله الأجرب

(٢) لصيقاً : ملاصقاً لى .

(٣) الغادى : من يأتى أول النهار . والرائح : الآتى آخره .

(٤) تبزغ : تطلع . وتبليج : ظهر .

(٥) أولية : منسوبة إلى أول ، يريد معدة سباق . والبزار : بائع البذر ، وهو : الحب .

(٦) اللقم : مخفف لقم . والمنجنيق : آلة ترمى بها الحجارة .

(٧) طم الركبة : دفنها وسواها . والركايا : جمع ركبة ، وهى البئر ذات الماء ، وتهور البناء :

تهدم وسقط . والبشوق : موضع الكسر في شط النهر .

صاح بُلْعُومُهُ ، فقلنا : المنادى      صاح في حلقه : الطريقَ الطريقاً<sup>(١)</sup>  
فإذا جىء بالخِوان تفرَّعاً      ت ، وأشفقتُ أن يموت خنيقاً<sup>(٢)</sup>

### بكاء قومه

يتحسر الشاعر في هذه القصيدة على قومه الذين اختطف الموت عظماءهم ، وإياهم يكفهم ذلك بل اشتعلت بينهم نيران العداوة والبغضاء تنازعاً على الرئاسة ، والبحرى يحذرهم عواقب هذه الفرقة ، ويذكركم بالشامتين المتربصين بهم :

أَقْصِرْ ؛ فَإِنَّ الدَّهْرَ لَيْسَ بِمُقْصِرٍ      حَتَّى يُلْفَ مُقَدِّمًا بِمُؤَخَّرٍ<sup>(٣)</sup>  
وَإِذَا ذَكَرْتُ بَنِي عُبَيْدٍ عَبْدُوا      حُرَّ الدَّمُوعِ لِلْوَعَةِ الْمَذْكُورِ<sup>(٤)</sup>  
أَكَلَتْهُمْ دَوْلُ الزَّمَانِ ، وَقَلَلَتْ      مِنْ حَدِّ شَوْكَتِهِمْ صُرُوفُ الْأَدْهِرِ<sup>(٥)</sup>  
وَأَرَى الضَّغَائِنَ لَيْسَ تَخْبُو مِنْهُمْ      فِي مَعْشَرٍ إِلَّا زَكَتْ فِي مَعْشَرٍ<sup>(٦)</sup>  
مَهْلًا بَنِي شِمَالٍ ، إِنْ وَرُودَكُمْ      حَوْضَ التَّقَاطُعِ غَيْرُ سَهْلِ الْمَصْدَرِ<sup>(٧)</sup>  
مَا بِالْكُمِ تَتَقَاذِفُونَ بِأَعْيُنٍ      فِي لَحْظِهَا جَمْرُ الْغَضَا الْمَتَسَعِّرِ<sup>(٨)</sup>  
تَسْجَاذِبُونَ الْمَجْدَ جَذْبَ تَعْجُوفٍ      وَتَعْجُوفُ الْأَمْجَادِ بَعْضُ الْمُنْكَرِ<sup>(٩)</sup>

(١) البلعوم : مجرى الطعام في الحلق .

(٢) تفرعت : خفت . وأشفق عليه : حاذر ، وخاف .

(٣) أقصر : كف ، وأترك . ومقصر : كاف تارك . ويلف : يضم ، ويجمع .

(٤) عبيد ( بالتصغير ) : اسم أبي الشاعر وجده الثاني . وعبدوا حر الدموع : صيروا الدموع الحرة عبدة ، واللوعة : حرقه الحزن .

(٥) فلل السيف : ثلمه . والشوكة : القوة والبأس . وصروف الدهر : نوائبه .

(٦) الضغائن : الأحقاد . وتخبو : تخمد وتنطوى . وزكت : نمت .

(٧) شمال : جده الثالث .

(٨) الجمر : النار المتقدة . والغضا : شجر من الأثل ، وجمره يبقى زمناً طويلاً لا ينطوى .

والمستقر : المتقد المشتعل .

(٩) التعجوف : التكبر ، والبغى . والأمجاد : جمع ماجد .

إِنَّ التَّنَازُعَ فِي الرِّئَاسَةِ زَلَّةٌ      لَا تُسْتَقَالُ . ودعوة لم تنصر<sup>(١)</sup>  
 أَفْنَى أَوَائِلَ جُرْهُمٍ إِفْرَاطُهُمْ      فِيهِ ، وَأَسْرَعَ فِي مَقَاوِلِ حِمِيرٍ<sup>(٢)</sup>  
 فَتَحَاجَزُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَتَحَاجَزُوا      عَنْ مَنَهْلِ صَافٍ وَرَبْعٍ مُقْفِرٍ<sup>(٣)</sup>  
 وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ غِلَّ صُدُورُكُمْ      لَمْ يُطْفَئَ لِلْحَدَثِ الْجَلِيلِ الْأَكْبَرِ<sup>(٤)</sup>  
 أَوْ مَا تَرَوْنَ الشَّامِتِينَ أَمَامَكُمْ      وَوَرَاءَكُمْ مِنْ مُضْمِرٍ أَوْ مُظْهِرٍ  
 مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ جُمْتُ مَوْدُؤُهُ سِوَى غِلٍّ      زُهْرٍ لَجْدَكُمْ الْأَغَرَّ الْأَزْهَرَ<sup>(٥)</sup>  
 وَكَأَنَّمَا شَرَفُ الشَّرِيفِ إِذَا انْتَمَى      جُرْمٌ جَنَادُ عَلَى الْوَضِيعِ الْأَصْغَرِ<sup>(٦)</sup>

## الشاعر الوصّاف

### ١ - سحر الطبيعة :

يصف البحري بعض مظاهر الجمال في الوجود ، فن ذلك :

## جمال الرياض

فهذه روضة بدا زهرها متنوع الأشكال ، مختلف الألوان ، فكأنما هي نسيج موشى ، ومنه ما هو ذهبي مشرق على أغصانه المتمايلة في فتور ، وذلك إذ يقول :

هَذِي الرِّيَاضُ بَدَا لَطَرُفُكَ نَوْرُهَا      فَأَرْتِكَ أَحْسَنَ مِنْ رِيَاطِ السَّنْدُسِ<sup>(٧)</sup>

(١) الزلة : الخطيئة . واستقال : طلب أن ينهض من سقوطه .

(٢) جرهم : قبيلة يمنية . ومقاويل حمير : ملوك اليمن .

(٣) تحاجزوا : تمانعوا . ويكون المنهل صافياً إذا لم يشرب منه أحد . وهذا كناية عن فناءهم .

(٤) الغل : الحقد .

(٥) زهر : متألثة مضيئة .

(٦) الجرم : الذنب .

(٧) النور : الزهر ، أو الأبيض منه . والرياط : جمع ربطة ، وهي ملاءة قطعة واحدة ،

وكلها نسيج واحد . والسندس : ضرب من منسوج الحرير .

يَنْشُرْنَ شَيْئاً مُذْهِباً ، وَمُدْبِجاً وَمَطَارِفاً نُسِجَتْ لِغَيْرِ الْمَلْبَسِ<sup>(١)</sup>  
وَأَرَتِكَ كَافُوراً ، وَتَبِيراً مُشْرِقاً فِي قَائِمٍ مِثْلَ الزُّمُرِّدِ أَمْلَسِ<sup>(٢)</sup>  
مُتَمَايِلِ الْأَعْنَاقِ ، فِي حَرَكَاتِهِ كَسَلُ النَّعِيمِ ، وَفَتْرَةُ الْمُتَنَعِّسِ<sup>(٣)</sup>  
فَإِذَا طَرَبْتَ إِلَى الْعُيُونِ وَغُنْجِهَا فَأَجَلٌ لِحَاظِكَ فِي عُيُونِ النَّرْجِسِ<sup>(٤)</sup>

وتلك رياض بالجزيرة تداعب مياه دجلة ماها ، ترى أزهارها منتشرة فيها كأنها يواقيت ،  
تأسر العين بألوانها إذا سطع عليها ضوء الشمس ، ويغرد فيها الطير ، فتتجاوب في أرجائها أصوات  
الغناء ، وإذا ما هزت الريح أغصانها تمايلت ، كما تمايل قدود العذارى ، واستمع إليه يقول :

سرى البرقُ يَلْمَعُ فِي مُزْنَةٍ تَمُدُّ إِلَى الْأَرْضِ أَشْطَانَهَا<sup>(٥)</sup>  
فَكَمْ بِالْجَزِيرَةِ مِنْ رَوْضَةٍ تَضَاحِكُ دِجْلَةً تُغْبِئَانَهَا<sup>(٦)</sup>  
تُريكَ الْيَوَاقِيتَ مَنْشُورَةً وَقَدْ جَلَّلَ النُّورُ ظُهُرَ رَانَهَا<sup>(٧)</sup>  
غَرَائِبُ تَخْطَفُ لِحْظَ الْعُيُونِ إِذَا جَلَّتِ الشَّمْسُ أَلْوَانَهَا<sup>(٨)</sup>  
إِذَا غَرَّدَ الطَّيْرُ فِيهَا ثَنَتْ إِلَيْكَ الْأَغَانِي أَلْحَانَهَا<sup>(٩)</sup>  
كَأَنَّ الْعَذَارَى تَمْشِي بِهَا إِذَا هَزَّتِ الرِّيحُ أَفْنَانَهَا<sup>(١٠)</sup>

- 
- (١) الوشي : نقش الثوب . والمذهب : المموه بالذهب . والمدبج : المنقوش . والمطارف : جمع مطرف ، وهو رداء من حرير ذو رسوم .  
(٢) الكافور : نبت طيب زهره كزهر الأقحوان . والزمرد : حجر كريم شفاف شديد الخضرة .  
(٣) الفترة : الانكسار والضعف . (٤) الغنج : الملاحاة في العينين .  
(٥) المزنة : السحابة الممطرة . والأشطان : الحبال ، يشبه بها خيوط المطر .  
(٦) الثغبان : جمع ثغب ، وهو الغدير في ظل جبل .  
(٧) اليواقيت : جمع ياقوت ، وهو : حجر كريم صلب شفاف ، تختلف ألوانه ، وجلل : غطى . والظهران : جمع ظهر .  
(٨) جلا : كشف .  
(٩) ثنى الشيء : كان ثانيه ، والمعنى أن الطير إذا غرد فيها حمل إلى أذنك ألحاناً كاللحن الأغاني .  
(١٠) العذارى : جمع عذراء ، وهي الفتاة . وتمشى : تتمشى . والأفنان : جمع فن ، وهو : الفصن .



تَعَانَقُ لِلْقُرْبِ شَجَرَاوُهَا      عِناقَ الْأَحِبَّةِ أَشْكَانَهَا<sup>(١)</sup>  
 فَطُورًا تَقُومُ مِنْهَا الصَّبَا      وَطُورًا تُمِيلُ أَغْصَانَهَا<sup>(٢)</sup>  
 جَنُوحٌ تُنْقِلُ أَفْيَاءَهَا      كَمَا جَرَّتِ الْخَيْلُ أَرْسَانَهَا<sup>(٣)</sup>

### سحابة

يصف في هذه الأرجوزة سحابة ذات رعد وبرق ألقت مطرها على الأرض . فرويت وتفتحت أزهار رباهما ، وامتلت غدرانها بالمياه :

ذاتُ ارتجازٍ بَحْنينِ الرَّعدِ      مَجْرورةُ الذَّيْلِ ، صَدُوقُ الوَعْدِ<sup>(٤)</sup>  
 مَسْفُوحَةُ الدَّمْعِ لِغَيْرِ وَجْدٍ      لَهَا نَسِيمٌ كَنَسِيمِ الزَّرْدِ<sup>(٥)</sup>  
 وَرْنَةٌ مِثْلُ زَيْتِرِ الْأُسْدِ      وَلَمْعٌ بَرَقَ كَسَيُوفِ الْهِنْدِ<sup>(٦)</sup>  
 جَاءَتْ بِهَا رِيحُ الصَّبَا مِنْ نَجْدٍ      فَانْتَشَرَتْ مِثْلَ انْتِشَارِ الْعَقْدِ<sup>(٧)</sup>  
 فَرَاخَتْ الْأَرْضُ بِعَيْشٍ رَغْدٍ      مِنْ وَشَى أَنْوَارِ الرُّبَا فِي بُرْدِ<sup>(٨)</sup>  
 كَأَنَّمَا غُذِرَ أُنْهَاهَا فِي الْوَهْدِ      يَلْعَبْنَ مِنْ حَبَابِهَا بِالنَّردِ<sup>(٩)</sup>

- 
- ( ١ ) الشجراء : الشجر . والأسكان : جمع سكن ، وهو ما يستأنس به .  
 ( ٢ ) الصبا : ريح مهبها جهة الشرق .  
 ( ٣ ) جنوح : من جنح إذا مال ، يريد الشمس . والأفياء : جمع فيء ، وهو : الظل . والأرسان : جمع رسن ، وهو : حبل الدابة .  
 ( ٤ ) ارتجز الرعد : صات . ومجرورة الذيل : تملأ الأفق ، وتتصل بالأرض .  
 ( ٥ ) مسفوحة الدمع : ذات دمع مراق . والوجد : الحب .  
 ( ٦ ) الرنة : الصوت . ( ٧ ) انتشرت : ألقيت متفرقة .  
 ( ٨ ) عيش رغد : طيب واسع ، والوشى : نقش الثوب . والربا : المرتفعات . والبرد : الثوب المخطط .  
 ( ٩ ) الغدران : جمع غدير ، وهو قطعة من الماء يتركها السيل . والوهد : الأرض المنخفضة . والحباب : الفقايع التي تعلو الماء . والنرد : اللعبة المعروفة ( بالطاولة ) .

## الرَّبيعُ للضاحك

هذه قطعة يصف فيها الربيع ، وهو مقبل على الكون ضاحكاً جليلاً ، تفتحت باكورة ورده ،  
واخضر شجره ، ورق نسيه باعثاً في النفوس اللذة والبهجة ، حتى كأنه أنفاس الأحبة :

أَتَاكَ الرَّبِيعُ الطَّلُقُ يَخْتَالُ ضَاحِكاً      من الحسنِ ، حتَّى كَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ  
وَقَدْ نَبَّهَ النَّيْرُوزُ فِي غَسَقِ الدُّجَى      أَوَائِلَ وَرْدٍ كُنَّ بِالْأَمْسِ نُومًا (١)  
يُفَتِّقُهَا بَرْدُ النَّدَى ، فَكَأَنَّهُ      يُبَثُّ حَدِيثاً كَانَ قَبْلُ مَكْتَمًا (٢)  
فَمِنْ شَجَرٍ رَدَّ الرَّبِيعُ لِبَاسَهُ      عليه ، كَمَا نَشَرْتَ وَشَيْئاً مَنَمًا (٣)  
أَحَلَّ ، فَأَبْدَى لِلْعُيُونِ بَشَاشَةً      وَكَانَ قَدْ ذِيَّ لِلْعَيْنِ إِذْ كَانَ مُخْرِمًا (٤)  
وَرَقٌ نَسِيمُ الرِّيحِ ، حَتَّى حَسِبْتُهُ      يَجِيءُ بِأَنْفَاسِ الْأَحِبَّةِ نَعْمًا (٥)

## من وصف للشام

يحن وهو بالعراق إلى رقة هواء الشام ، وما على ضفتي الساجور من الخضاب والكهوف :

حَسَّتْ رِكَابِي بِالْعِرَاقِ ، وَشَاقَهَا      فِي نَاجِرٍ بَرْدُ الشَّامِ وَرِيفُهُ (٦)  
وَمَدَافِعُ السَّاجُورِ حَيْثُ تَقَابَلَتْ      فِي ضِفَّتَيْهِ تَلَاعُهُ وَكُهُوفُهُ (٧)

(١) النيروز عند الفرس : أول أيام السنة الشمسية ، وغسق الدجى : ظلمة الليل . يريد أن مقدم الربيع يصحبه تفتح الورد .

(٢) يبث : يذيع . يشبه انتشار الأريج على أثر تفتح الورد بسر كان مكتوماً فأذيع .

(٣) الوشى : نقش الثوب . ومنم : محسن . ويشبه اكتساء الأشجار بالزهر بالنقش الجميل .

(٤) أحل : لبس ثياب الحل . والقذى : ما يقع في العين فيؤلها ، ويسيل دمعها من تبين ونحوه ، والمحرم : المتجرد من ثيابه في الحج .

(٥) نعم : جمع ناعم وهو : قرير العين .

(٦) ناجر : الشهر الواقع في صميم الحر .

(٧) مدافع الماء : أماكن اندفاعه . والساجور : نهر بمنبج مديته . والتلاع : جمع تلمعة ،

وهي : ما ارتفع من الأرض . والكهف : كالمغارة في الجبل ، إلا أنه أوسع منها .

ويعصف شوقه إليه ، ويعده جنة عدن في قوله :

أَزَا جِرُّ أَنَا جُرْدَ الْخَيْلِ ، أَجْشِمُهَا      سِيرًا إِلَى الشَّامِ إِغْدَا ذَاوِإِي جَافَا<sup>(١)</sup>  
دَوَافِعُ فِي انْخِرَاقِ الْبَرِّ ، مَوْعِدُهَا      مَدَافِعُ الْبَحْرِ مِنْ بَيْرُوتَ أَوْ يَافَا<sup>(٢)</sup>  
حَتَّى نَحُلَّ ، وَقَدْ حَلَّ الشَّرَابُ لَنَا      جَنَاتِ عَدْنِ عَلَى السَّاجِرِ أَلْفَا فَا<sup>(٣)</sup>

ويحب بطيَّاس ، وروابيها المرتفعة ، ورياضها المبسوطة ، ومناهلها العذبة ، إذ يقول :

أَحْبَبُ إِلَيْنَا بَدَارَ «عَلْوَةٍ» مِنْ      بِطَيَّاسَ ، وَالْمَشْرِفَاتِ مِنْ أَكْمِهِ<sup>(٤)</sup>  
بَسَاطُ رَوْضٍ تَجْرِي مَنَابِعُهُ      فِي مُرْجَجِنِ الْغَمَامِ مُنْسَجِمِهِ<sup>(٥)</sup>  
يَفْضُلُ فِي آسِهِ وَنَرْجِسِهِ      نَعْمَانُ فِي طَلْحِهِ وَفِي سَلَمِهِ<sup>(٦)</sup>  
أَرْضُ عَدَاةٍ ، وَمَشْرِفُ أَرْجٍ      وَمَاءُ مُزْنٍ يَفِيضُ فِي شَبَمِهِ<sup>(٧)</sup>  
هَلْ أَرِدُ الْعَذْبَ مِنْ مَنَاهِلِهِ      أَوْ أَطْرُقُ النَّازِلِينَ فِي خَيْمِهِ<sup>(٨)</sup>

أما دمشق فبلد يملأ العين حسناً ، وما هو ذا يتغنى بجمالها وسحبها ونباتها :

أَمَّا دِمَشْقُ فَقَدْ أَبَدَتْ مُحَابِسَهَا      وَقَدْ وَقَى لَكَ مُطَرِّيَهَا بِمَا وَعَدَا<sup>(٩)</sup>

(١) جرد الخيل : الخيل القصيرة الشعر . وأجشمها : أكلفها . والإيجاف والإغذاذ : الإسراع في السير .

(٢) دوافع : أى تسير بسرعة كالماء المندفع ، وانخراق البر : البر المتسع .

(٣) الألفاف : جمع لف ، وهو البستان المجتمع الشجر الملتف النبات .

(٤) بطيَّاس : قرية عند باب حلب . والآكم : جمع أكّة ، وهو ما ارتفع من الأرض .

(٥) أرججن الشيء : مال ، واهتز ، وانسجم : انصب .

(٦) الآس : الريحان . ونعمان : واد بين مكة والطائف . والطلح : شجر ضخيم له شوك .

والسلم : شجر يدبغ به .

(٧) أرض عداة : طيبة . والمشرف : المكان المرتفع ، من شرف : ارتفع . والأرج :

ذو الرائحة الطيبة . والمزن : جمع مزنة ، وهى : السحابة ذات الماء . والشيم : البرد .

(٨) المناهل : جمع منهل ، وهو : موضع الشرب .

(٩) المطرى : المبالغ في المدح .

إذا أردتَ ملأتَ العينَ من بلدٍ      مُستَحَسِنٍ ، وزمانٍ يُشْبِهُ البلدا  
يُمسِي السَّحابُ على أَجبالِها فِرَقاً      ويُضْبِحُ النَّبْتُ في صحرائِها بَدَدًا<sup>(١)</sup>  
فلستَ تُبْصِرُ إِلَّا وَاكِفاً خَضِلاً      أو ياتِئاً خَضِراً ، أو طائِراً غَرْدًا<sup>(٢)</sup>  
وهي لذلك جنة ، هواؤها ندى ، وماؤها سلسال عذب ، وعيشها حلو المذاق :

إِنَّ دِمَشْقاً أَصْبَحَتْ جَنَّةً      مخضرةً الرُّوضِ عَدَاةَ البِراقِ<sup>(٣)</sup>  
هراؤها الفَضْفَاضُ غَضُّ النَّدَى      وماؤها السَّلْسَالُ عَذْبُ المَذاقِ<sup>(٤)</sup>  
والدَّهْرُ طَلَقَ بَيْنَ أَكْنَافِها      والعِيشُ فيها ذو حِراشٍ رِقاقِ<sup>(٥)</sup>  
وكيف لا نُؤثِرُها بالهوى      وصيفها مثلُ شتاءِ العراقِ<sup>(٦)</sup>

### من وصف العراق

كان الشام والعراق الوطنين الروحيين للشاعر ، وما هو ذا يصف ربوة بالعراق ، فيقول :  
نَزَلُوا رَبْوَةَ العِراقِ ارْتِساداً      أَيْ أَرْضٍ أَشَدُّ ذِكْراً ، وَأَسْنَى<sup>(٧)</sup>  
بَيْنَ دَيْرِ العاقُولِ مُرتَبِعٌ يُشَدُّ      رِفٌّ مُحْتَلَّةٌ إِلَى دَيْرِ قُنَى<sup>(٨)</sup>  
حيثُ باتَ الزَّيتونُ مِنْ فوقِهِ النَّخْدُ      لُ عَلَيْهِ وَرَقٌ الحِمامِ تَغْنَى<sup>(٩)</sup>

(١) البلد : المتفرق .

(٢) الواكف : السائل . والخضل : الندى المبتل . واليانع : الطيب المدرك الذي حان قطافه .

(٣) العداة : الأرض الطيبة . والأبرق : كل ما اجتمع فيه سواد وبياض .

(٤) الفضفاض : الواسع . والسلسال : الماء العذب .

(٥) الأكناف : جمع كنف ؛ وهو الجانب . والحواشي : الجوانب .

(٦) آنره : اختاره ، وفضله .

(٧) الارتباد : الطلب ، وأسنى : من السناء ، وهو : الرفعة .

(٨) دير العاقول على شاطئ دجلة قريب من بغداد . وبالقرب منه دير قنى .

(٩) الورق : ما في لونها بياض إلى سواد وتغنى : تتغنى .

وقال يصف منزله عند دجلة ، ومياه الهر ، وأمواجه ، وما على حافته من نخيل وأطيار :

منزلٌ لي بالعراقِ اختَرْتُهُ      لم يَشُبْ حرٌّ يقينى فيه شكٌ  
وإذا دجلةٌ مدتْ شأوها      وجرى جرى اللّجينِ المنسبك<sup>(١)</sup>  
عارضتْ ربّعى بفيضٍ مُزبدٍ      بينَ أمواجٍ تَسامى وحُبك<sup>(٢)</sup>  
يتكفّى النخلُ في حافّاتها      بالقمارى تُغنى أو تبك<sup>(٣)</sup>  
حُنيّتْ تلكَ العَراجينُ على      لؤلؤِ غُضٍّ ، ونُحوصِ كالشُّرك<sup>(٤)</sup>

ويصف يوماً شاتياً عند دجلة في منزله لبغداد ، تصفر الرياح إذا مرت بأشجار الأثل فيه ، حتى تكاد تزعزعه ، ثم حملت إليه قطراً صغير الحب ، رواه ، كما روى الرياض على شاطئها ، وقد استدارت في ذلك الموضع ، فكانها هلال أو سوار :

رَضِينَا من مُخارقٍ ، وابنِ خَيْرٍ      بِصَوْتِ الأثلِ ، إذ مَتَعَ النُّهارُ<sup>(٥)</sup>  
تُزَعزِعُهُ الشَّمَالُ ، وقد تَوَافَى      على أنفاسِهَا قَطْرٌ صَغَارُ<sup>(٦)</sup>  
غَدَاةَ دَجْنَةٍ لِلغَيْثِ فيها      خِلَالَ الرُّوضِ حجٌّ واعتِمَارُ<sup>(٧)</sup>  
كَأَنَّ الرِّيحَ والقَطَرَ المُنَاجَى      خَوَاطِرَهَا عِتَابٌ واعتِدَارُ  
كَأَنَّ مَدَارَ دِجْلَةَ حينَ جَاءَتْ      بِأَجْمَعِهَا هلالٌ أو سِوَارُ

( ١ ) الشَّو : الغاية ، يريد بلوغ مداها غايته واللّجين : الفضّة . والمنسبك : المذاب المفرغ

في قالب .

( ٢ ) عارضه : سار حياه . والحبك : الدروع ، يريد بها الأمواه المتجعدة .

( ٣ ) يتكفى : يطول . والقمارى : جمع قمرية وهى ضرب من الحمام . وتبك : أراد تبكى .

( ٤ ) المرجون : قنو النخلة ، وهو من النخل كالعنقود من العنب . والغض : الطرى الناعم .

والشرك : حبال الصيد .

( ٥ ) مخارق وابن خير من المغنين المشهورين . والأثل : شجر عظيم صلب الخشب ومتع

النهار : بلغ غايته وارتفاعه .

( ٦ ) توافى القوم : تتاموا .

( ٧ ) الدجنة : الظلمة . ويريد بالحج والاعتبار : الزيارة .



ويعصف البحرى المتوكلية ، وهى مدينة بناها المتوكل قرب « سامراء » ، فيقول :

أَرَى المتوكِّلِيَّةَ قد تعالَتْ      محاسِنُها ، وأَكمَلتِ التَّماما  
قصورٌ كالكوكِبِ لامعاتُ      يَكْدُنُ يَضِئُ لِلسَّارِ الظَّلَاما  
وَبَرٌّ مثْلُ وشيِّ البُرْدِ ، فيه      جَنَى الحَوَذَانِ يَنْشُرُ والخُزَامِ<sup>(١)</sup>  
إِذَا بَرَقَ الرَّبِيعُ له كَسَتُهُ      غَوَادِى المَزْنِ ، والرَّيْحُ النُّعَامِ<sup>(٢)</sup>  
غَرَائِبَ من فُنُونِ النَّبْتِ ، فيها      جَنَى الزَّهْرِ الفُرَادَى والتَّوَامِ<sup>(٣)</sup>  
تُضَاحِكُهَا الضُّحَا طَوْرًا ، وطَوْرًا      عليها الغَيْثُ يَنْسَجُمُ انْسِجَامًا<sup>(٤)</sup>

## ب - الحيوان

أجاد الشاعر فى وصف ما تناوله من الحيوانات كالذئب ، وكان من أشهر وصفات الخيل :

### ذئب ضار

يصف الشاعر فى هذه القصيدة ذئباً لقيه فى رحلة كان يقوم بها ليلاً ، ويصور معركة دارت بينهما ، وانتهت بسقوط الذئب قتيلًا ، وشواء البحرى له ، واتخاذ بعض لحمه طعاماً :

وَلَيْلٍ كَأَنَّ الصُّبْحَ فى أَخْرِيَاتِهِ      حُشَاشَةٌ نَضِلٍ ضَمَّ إِفْرِنْدَهُ غِمْدُ<sup>(٥)</sup>

( ١ ) الحوذان : نبات زهره أحمر فى أصله صفرة . والخزamy : نبت زهره من أطيب الأزهار .  
والجنى : ما يجنى وينشر : يذيع .

( ٢ ) الغوادرى : جمع غادية ، وهى القادمة فى أول النهار . والمزن : السحاب ذو الماء .  
والنعمامى : ريح الجنوب .

( ٣ ) التوامى : المزدوجات .

( ٤ ) انسجم الغيث : انسكب .

( ٥ ) حشاشة نصل : بقية سيف . وإفرنده السيف : جوهره وشيئه .

تَسْرِبْلَتُهُ ، والذئبُ وسنانُ هاجعٌ  
 أثيرُ القَطَا الكُدْرِيُّ عن جَثَمَاتِهِ  
 وأطلَسَ ملءُ العينِ ، يحملُ زورَهُ  
 له ذنبٌ مثلُ الرِّشَاءِ يَجْرُهُ  
 طواه الطَّوَى ، حتى استمرَّ مريـرُهُ  
 يَقْضِقُضْ عَصْلًا في أَسْرَتِهَا الرَّدَى  
 سَمَا لِي ، وبني من شِدَّةِ الجوعِ ما به  
 كِلَانَا بها ذَنْبٌ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ  
 عَوَى ، ثمَّ أَقْعَى ، فارتَجَزَتْ ، فَهَجَّتُهُ  
 فَأَوْجَرَتْهُ خَرَقَاءُ تَحْسَبُ رِيشَهَا  
 بِعَيْنِ ابْنِ لَيْلٍ ، ماله بالكُرى عَهْدُ<sup>(١)</sup>  
 وتَأَلَّفَنِي فِيهِ الثَّعَالِبُ ، والرُّبْدُ<sup>(٢)</sup>  
 وَأَضْلَاعُهُ مِنْ جَانِبَيْهِ شَوَى نَهْدُ<sup>(٣)</sup>  
 وَمَتْنٌ كَمَتْنِ الْقَوْسِ أَعْوَجُ مُنَادُ<sup>(٤)</sup>  
 فَمَا فِيهِ إِلَّا الْعِظْمُ وَالرُّوحُ وَالْجِلْدُ<sup>(٥)</sup>  
 كَقَضْقَضَةِ الْمَقْرُورِ أَرَعْدَهُ الْبَرْدُ<sup>(٦)</sup>  
 بِبَيْدَاءٍ لَمْ تُعْرِفْ بِهَا عَيْشَةُ رَغْدُ<sup>(٧)</sup>  
 بِصَاحِبِهِ ، وَالْجِدُّ يُتَعَسُّهُ الْجَدُّ<sup>(٨)</sup>  
 فَأَقْبَلَ مِثْلَ الْبَرْقِ يَتَّبِعُهُ الرَّعْدُ<sup>(٩)</sup>  
 عَلَى كَوْكَبٍ يَنْقُضُ ، وَاللَّيْلُ مُسَوْدُ<sup>(١٠)</sup>

- (١) تسربلته : سرت فيه . والوسنان : النائم غير المستغرق في النوم . والهاجع : النائم . وابن الليل : دائم السير فيه . والكُرى : النوم الخفيف .
- (٢) أثير : أهيج . والقطا : جمع قطاة ، وهي : طائر في حِجَم الحمام . والكُدري : المائل إلى السواد والغبرة . وجثماته : جمع جثمة ، كضربة ، وهي : المرقدة . والربد : جمع أربد ، وهو : الأسد .
- (٣) الأطلس : المغرب إلى سواد . وملء العين : طويل مهيب . والزور : أعلى وسط الصدر . والشوى : الأطراف . والنهد : البارز .
- (٤) الرشاء : الحبل . والمتن : الظهر . ومناد : معوج .
- (٥) الطوى : الجوع . واستمر مريـرُهُ : قوى بعد ضعف .
- (٦) يقضقض عَصْلًا : يصوت بأسنان صلبة معوجة . وأسرتها : جمع سرار وهو : الخط . والردي : الهلاك . والمقرور : من أصابه القر أى البرد .
- (٧) سَمَا لِي : خرج لي ، وقصفتني . والبَيْدَاءُ : الصحراء . والعيش الرغد : الطيب الواسع .
- (٨) الجد ( بكسر الجيم ) : الاجتهاد . والجد ( بالفتح ) : الحظ . وأتبعه : أشقاه .
- (٩) أقعى : جلس على مؤخره . وارتجزت : رفعت صوتي .
- (١٠) أوجرته : طعنته . والخرقاء : السنان . وتحسب ريشها ... أى تظنها كوكباً منقضاً له ريش .

فما ازدادَ إلَّا جُرْأَةً وَصَرَامَةً      وأيقنْتُ أَنَّ الأمرَ منه هو الجِدُّ<sup>(١)</sup>  
 فَاتَّبَعْتُهَا أُخْرَى، فَأَضَلَّتْ نَصْلَهَا      بحيثُ يكونُ اللَّبُّ، والرَّعْبُ والحَقْدُ<sup>(٢)</sup>  
 فخرٌ، وقد أوردته مَنهَلَ الرَّدَى      على ظمإٍ، لو أَنَّهُ عَذَبَ الوردُ<sup>(٣)</sup>  
 وقُمْتُ، فجمعتُ الحصى، فاشتويته      عليه، وللرمضاءِ من تحته وَقْدُ<sup>(٤)</sup>  
 ونلتُ خسيساً منه، ثم تركته      وأقلعتُ عنه، وهو منعفرٌ فردُ<sup>(٥)</sup>

### فرس للغزو

يطلب الشاعر في هذه القصيدة فرساً يغزو به أعداءه من الروم، وهو لذلك يطلبه قوياً سريعاً، وما يلحظ في القصيدة أن الشاعر قد استخدم كثيراً من الألفاظ الدقيقة في موضعها، وإن قل استخدامها :

فَاعِنْ عَلَى غَزْوِ الْعَدُوِّ بِمُنْطَوٍ      أحشاؤه طيَّ الكتابِ المُدرَجِ<sup>(٦)</sup>  
 إِمَّا بِأَشْقَرٍ سَاطِعٍ أَغْشَى الْوَغَى      منه بمثل الكوكبِ المتأجِّجِ<sup>(٧)</sup>  
 مُتَسَرِّبِلٍ شِيَّةٍ طَلَّتْ أَعْطَافَهُ      بِدَمٍ، فما تلقاهُ غير مُضْرَجِ<sup>(٨)</sup>  
 أَوْ أَدْهَمٍ صَبَافِي السَّوَادِ، كَأَنَّهُ      تحتَ الكَمِيِّ مُظْهَرٌ بَيْرَنْدَجِ<sup>(٩)</sup>

(١) الصرامة : المضاء .

(٢) أضلت نصلها : أدخلت حديدتها . وبحيث يكون . . . ، أى في القلب .

(٣) المنهل : المورد .

(٤) الرمضاء : الأرض الحامية . والوقد : النار .

(٥) الخسيس : الدقء الحقيق . وأقلع عنه : تركه . ومنعفر : ممرغ في التراب .

(٦) المدرج : الملفوف .

(٧) الأشقر : ذو لون يأخذ من الأحمر والأصفر . والوغى : الحرب . والمتأجج : الملتهب .

(٨) متسرّبل : لايس للسرّبال وهو القميص . والشية : مصدر وشى الثوب : حسنه بألوان،

ونقشه . والأعطاف : جمع عطف ، وهو الجانب ، والمضرج : المصبوغ بالدم .

(٩) الأدهم : الأسود . والكمى : الشجاع : ولايس السلاح . . . واليرندج : صبغ .

- ضرم يهيج السوط من شؤبوبه  
 خفت مواقع وطئه ، فلو أنه  
 أو أشهب يقق ، يضي وراءه  
 تخفى الحجل ، ولو بلغن لبانه  
 أوفى بعرف أسود متغرب  
 أو أبلق يلقي العيون إذا بدا  
 جذلان تحسده الجياد إذا مشى
- هيج الجنائب من حريق العرفج<sup>(١)</sup>  
 يجرى برملة عالج لم يرهج<sup>(٢)</sup>  
 متن كمتن اللجة المترجرج<sup>(٣)</sup>  
 في أبيض متالق كالدملج<sup>(٤)</sup>  
 فيما يليه ، وحافر فيروزجي<sup>(٥)</sup>  
 من كل لون معجب بنموذج<sup>(٦)</sup>  
 عنتاً بأحسن حلة لم تنسج<sup>(٧)</sup>

- (١) ضرم : شديد الغضب . والشؤبوب : شدة اندفاع كل شيء . والهج : الثورة والتحريك والانبعاث . والجنائب : جمع جنوب ، وهي : ريح الشمال . والعرفج : شجر . والمعنى أن الفرس يغضب ويهيج السوط ، فيزيده شدة اندفاع ، كما تزيد ريح الجنوب نيران شجر العرفج اشتعالا .
- (٢) عالج : موضع به رمل . وأرهج : أثار الغبار .
- (٣) الأشهب هنا : الأبيض . واليقيق : شديد البياض ناصعه . وللتن : الظهر . واللجة : معظم الماء .
- (٤) الحجل : بياض القوائم . واللان : الصدر . والدملج : حلق يلبس في المعصم .
- (٥) أوفى بالشئ : جاء به تاماً . والعرف : الشعر النابت في محذب رقبة الفرس . ومتغرب : مسود حاله السواد . والفيروزج : حجر كريم أخضر .
- (٦) الأبلق : ما في لونه سواد وبياض .
- (٧) العن : الاعتراض في المشى ، يريد مشى مختللاً .

## ح - القصور العباسية :

عاصر البحري خليفتين أولهما ببناء القصور ، هما : المتوكل ، وابنه المعتز ؛ فكان من الطبيعي أن يتغنى الشاعر بجمالها ، وضخامتها ، وأن يهني خليفته بما يبينان :

### الجعفرى

قصر بناء المتوكل ، وافتن في زخرفته ، وجلب وسائل الحضارة إليه ، وشيده فوق ربوة عالية ، تجري تحتها دجلة ، وأحاطت به حديقة فسيحة تلاعب الرياح أشجارها :

قد تمَّ حُسْنُ الجَعْفَرِيِّ ، ولم يكنْ      ليتمَّ إلا بالخليفة جَعْفَرِ  
ملكٌ تبوأَ خيرَ دارٍ أنشئتْ      فى خيرِ مَبْدَى للأنامِ ومَحْضِرٍ<sup>(١)</sup>  
فى رَأْسِ مُشْرِفَةٍ ، حَصَاهَا لُؤْلُؤُ      وتُرَابُهَا مِسْكٌ يُشَابُ بِعَنْبَرٍ<sup>(٢)</sup>  
مُخْضَرَّةٌ ، والغَيْثُ لَيْسَ بِسَاكِبٍ      ومُضِيئَةٌ ، واللَّيْلُ لَيْسَ بِمُقْبِرٍ  
ظَهَرَتْ لِمُخْتَرَقِ الشَّامِ ؛ وجاورت      ظَلَلُ الغَمَامِ الصَّائِبِ المُسْتَغْزَرِ<sup>(٣)</sup>  
فَرَفَعَتْ بِنْيَانًا كَانَ مَنَارُهُ      أَعْلَامُ رَضْوَى ، أَوْ شَوَاهِقُ خَيْبَرٍ<sup>(٤)</sup>  
عَالٍ عَلَى لَحْظِ العُيُونِ ، كَأَنَّمَا      يَنْظُرُنَ مِنْهُ إِلَى بِيَاضِ المُشْتَرَى<sup>(٥)</sup>

(١) تبوأ المكان وبه : أقام به . والمبدى : مكان البدو . والمحضر : مكان الحاضرة . يريد فى خير مكان .

(٢) المشرفة : المرتفعة . ويشاب : يخلط .

(٣) ظهرت لمخترق الشام : بدت مارة بشمال دجلة . والظلال : جمع ظلة وهى : السحابة المظلة . والصائب : المسكوب المنصب . والمستغزر : الغزير .

(٤) رضى : جبل متيف بالحجاز . وخيبر ناحية بالقرب من المدينة بها مبعة حصون .

(٥) لفظ العيون : نظرها . والمشتري : أحد كواكب المجموعة الشمسية .



ملأت جوانبه الفضاء ، وعانقت  
 شرفاته قطع السحاب الممطر<sup>(١)</sup>  
 وتسير دجلة تحته ، ففناؤد  
 من لجة غمر ، وروض أخضر<sup>(٢)</sup>  
 شجر تلاعبه الرياح ، فتنشئ  
 أعطافه في سائح متفجر<sup>(٣)</sup>

### بركة الجعفرى

وضع المتوكل لهذا القصر بركة أجاد في إبداعها ، وجعل لها قنوات تصب الماء فيها بقوة ، ووضع فيها سمكاً ، وصور على جدرانها صوراً ، وأحاطها بالبساتين المزدهرة ؛ فقال البحرى يصف هذه البركة :

يا مَنْ رأى البركة الحسناء رويتها  
 والآسات إذا لاحت مغانيها<sup>(٤)</sup>  
 بحسبها أنها في فضل رتبته  
 تعدُّ واحدة ، والبحر ثانيها  
 ما بال دجلة كالغبرى : تنافسها  
 في الحسنى طوراً ، وأطواراً تباهيها<sup>(٥)</sup>  
 كأن جن سليمان الذين ولّوا  
 إبداعها ، فأدقوا في معانيها<sup>(٦)</sup>  
 فلو تمر بها « بلقيس » عن عرض  
 قالت : هى الصرح ، تمثيلاً وتشبيهاً<sup>(٧)</sup>

- 
- (١) الشرفات : جمع شرفة ، وهى : مثلثات أو مربعات تبني متقاربة فى أعلى القصر .  
 (٢) الفناء : الساحة ، التى أمام البيت ، اللجة : معظم الماء . والغمر : الماء الكثير .  
 (٣) أعطاف : جمع عطف ، وهو الجانب . والسائح : السائل .  
 (٤) المغانى : جمع مثنى ، وهو المنزل .  
 (٥) تنافسها فى الحسن : تحرص على أن تنال فى الحسن ما نالته البركة . وتباهيها : تفاخرها .  
 (٦) ولى الشيء : قام به . وإبداعها : إجادة عملها .  
 (٧) بلقيس : ملكة سبأ ، وكان لها قصر عمرد ( مصقول ) من قوارير ( زجاج ) . وعن عرض : على غرة . والصرح : القصر .

تنصَّبُ فيها وفودُ الماءِ مُعْجَلَةً      كالخيلِ خارجةٍ من حَبَلٍ مُجْرِيها <sup>(١)</sup>  
 كأنما الفِضَّةُ البَيْضَاءُ سَائِلَةٌ      من السَّبَائِكِ تجري في مجاريها <sup>(٢)</sup>  
 إذا عَلتها الصَّبَا أبدت لها حُبُكاً      مِثْلَ الجَوَاشِنِ مُصْقُولاً حواشيها <sup>(٣)</sup>  
 فحاجِبُ الشَّمْسِ أحياناً يَضْحِكُها      وريقُ الغيثِ أحياناً يُبَاكِها <sup>(٤)</sup>  
 إذا النجومُ تراءتْ في جَوَانِبِها      ليلاً حسبتُ سماءَ رُكبتُ فيها  
 لا يبلغُ السَّمَكُ المحصورُ غايتها      لُبْعِدٍ ما بينَ قاصِصِها ودانيها <sup>(٥)</sup>  
 يَعمُنَ فيها بأوساطٍ مُجَنَّحةٍ      كالطَّيرِ تنغصُّ في جَوْ خوافيها <sup>(٦)</sup>  
 لَهْنٌ صَحْنٌ رحيبٌ في أسافِليها      إذا انحطَطْنَ ، وبَهْوٌ في أعاليها <sup>(٧)</sup>  
 صُورٌ إلى صُورَةِ الدُّلْفِينِ ، يُونِسُها      منه انزِواءٌ بعينيهِ يُوَازِيها <sup>(٨)</sup>

(١) معجلة : مستحثة .

(٢) السبائك : جمع سبيكة وهي القطعة من الفضة أو نحوها ، ذوبت وأفرغت في قالب .

(٣) الصبا : ريح مهبها الشرق . والحبك : جمع حببكة ، وهي : الطريقة في الرمل . والجواشن :

جمع جوشن ، وهي : الدرع . والدرع ذات تغصن . والمصقول : الأملس . والحواشي : الجوانب . والمعنى : أن ريح الصبا تؤلف غصوناً على صفحة الماء ، في أواسط البركة ، وتترك جوانبها مصقولة ؛ لأنها لا تتعرض لها .

(٤) حاجب الشمس : جانب منها . وريق الغيث : أوله وأفضله .

(٥) القاصي : البعيد . والداني : القريب ، وبينهما طباق .

(٦) مجنحة : ذات أجنحة ، يريد بها الزعانف . وتنغص : تتحرك وتضطرب في ارتجاف .

والخوافي : ريشات في الجناح إذا ضم الطائر جناحيه خفيت .

(٧) الصحن : الفضاء وسط الدار . والبهو : ما يضرب أمام البيوت منزلاً للضيوف .

(٨) صور : جمع أصور ، وهو : المائل . والدلفين : سمكة بحرية . ويوازيها : يقابلها

ويواجهها .

تَغْنَى بِسَاتِينُهَا الْقُصُوى بِرُؤْيَيْهَا      عَنْ السَّحَائِبِ مُنَحَلًّا عَزَالِيهَا<sup>(١)</sup>  
مَحْفُوفَةٌ بِرِيَاضٍ لَا تَزَالُ تَرَى      رِيَشَ الطَّوَاوِيسِ تَحْكِيهِ وَيَحْكِيهَا<sup>(٢)</sup>

## د - إيوان كسرى \*

من غرر شعر البحترى فى الوصف هذه القصيدة التى يصف فيها إيوان كسرى ، وقد دفعه إلى زيارة هذا الإيوان رغبته فى أن يخفف عن نفسه آلام خطوب نزلت به ، فقام برحلة إلى المدائن عاصمة الفرس القديمة ، وكان إيوان كسرى لا يزال قائماً بها .

وقد اعترف البحترى فى هذه القصيدة بما كان للفرس من مجد عال وملك واسع ، ووصف من آثار الفرس بالحرماز ، وهو بناء ضخم كان بالمدائن وعلى أحد جدرانه صورة لحرب دارت بين الروم والفرس ، أتقن الرسام فى تصويرها ، وأجاد البحترى فى وصفها ، ووصف الإيوان ، وجلاله ، ودقة صنعه ، وحدثنا الشاعر عما جال بنفسه من الخواطر ، وهو يحول فى هذه الآثار الضخمة ، وما مر به من خيال صور له ماضى هذه الآثار :

صُنْتُ نَفْسِي عَمَّا يُدَنِّسُ نَفْسِي      وَتَرَفَّعْتُ عَنْ جَدَا كُلِّ جَبَسٍ<sup>(٣)</sup>  
وَتَمَاسَكْتُ حِينَ زَعَزَعَنِي اللَّهُ      رُ التِّمَاسُ مِنْهُ لَتَعْسِي وَنَكْسِي<sup>(٤)</sup>

( ١ ) غنى بالثى عن غيره : اكتفى . والقصى : البعيدة . والعزالي : جمع عزلاء ، وهى : مصب الماء من القرب ونحوها .

( ٢ ) حكاة : شابهه .

\* الإيوان : المكان المتسع من البيت يحيط به ثلاثة حيطان . وإيوان كسرى يريد به قصره .

( ٣ ) البجدا : العطاء . والجبس : الجبان اللئيم .

( ٤ ) تماسكت : ثبت . وزعزعنى : حركنى بعنف . ويريد قالى بخطوبه . والتماساً منه : طلباً منه ومحاولة . والتعس : الهلاك أو الشر . والنكس : انقلاب الرجل على رأسه ، يريد بذلك الهزيمة والسقوط .

بُلِّغْ مِنْ صُبَابَةِ الْعَيْشِ عِنْدِي      طَفَفَتْهَا الْأَيَّامُ تَطْفِيفَ بَخْسٍ<sup>(١)</sup>  
وَبَعِيدٌ مَا بَيْنَ وَارِدِ رِفْهِ      عَلَّلَ شُرْبُهُ ، وَوَارِدِ خِمْسٍ<sup>(٢)</sup>  
وَكَأَنَّ الزَّمَانَ أَصْبَحَ مَحْمُومًا      لَا هَوَاهُ مَعَ الْأَخْسِ الْأَخْسِ<sup>(٣)</sup>  
وَاشْتَرَايَ الْعِرَاقَ خُطَّةً غَبْنِي      بَعْدَ بَيْعِي الشَّامَ بَيْعَةً وَكُسٍ<sup>(٤)</sup>  
لَا تَرُزْنِي مَزَاوِلًا لاختباري      عِنْدَ هَذِي الْبَلَوَى ، فَتُنْكِرَ مَسِي<sup>(٥)</sup>  
وَقَدِيمًا عَهْدَتَنِي ذَا هَنَاتٍ      آبِيَاتٍ عَلَى الدُّنْيَا شَمْسٍ<sup>(٦)</sup>  
وَلَقَدْ رَابَنِي نُبُوٌّ ابْنِ عَمِّي      بَعْدَ لَيْنٍ مِنْ جَانِبِيهِ وَأُنْسٍ<sup>(٧)</sup>  
وَإِذَا مَا جُفِفْتُ كُنْتُ حَرِيًّا      أَنْ أَرَى غَيْرَهُ مُصْبِحٍ حَيْثُ أُمْسِي<sup>(٨)</sup>  
حَضَرْتُ رَحْلِي الْهُمُومَ ، فَوَجَّهْتُ      تَ إِلَى أَبْيَضِ الْمَدَائِنِ عَنِّي<sup>(٩)</sup>

(١) البليغ : جمع بلغة ، وهي : ما يكتفى من العيش ولا يزيد . والصباية : البقية . وطففتها : نقصتها . والبخس : الغبن والظلم .

(٢) الرفه : لين العيش وطيبه . والعلل : الشرب تباعاً . والخمس (بالكسر) : من إظهار الإبل ، وهي : أن ترعى ثلاثة أيام ، وترد الماء في اليوم الرابع . ويمثل بذلك حاله ، وأنه في شظف من العيش .

(٣) محمولا هواه : يحب . والأخس : النذل . أي كأن الزمان يحب أنذال الناس ، ويظلم خيارهم .

(٤) اشتراي العراق : إقامتي بها . والغبن : الخداع ، وضعف الرأي . وبيع الشام : رحلته عنها مع أنها وطنه . والوكس : النقصان والخسران .

(٥) رازه : جربه . ومزاولا : محاولا . وتنكر مسي : تجلنى أيأ عنيأ منكر الجانب .

(٦) الهنات : خصال (شر) . وآبيات على الدنيا : لا ترضى بالخييس الدون . بل تأنف منه . والشمس : العنيدة التي لا تذلل .

(٧) رابني : أوقعني في الريب ، وهو : الشك . والنبو : النفور والجفوة . وابن عمه : ربما كان يريد به الخليفة المنتصر ؛ فالبحترى قحطاني يمي ، والخليفة عدناني ، وقحطان وعدنان كأنهما أخوان ؛ لأنهما أبوا العرب ، وعاليه يكون البحتري قد قال هذه القصيدة بعد قتل المتوكل وإعراض المنتصر عنه ، بعد أن هجاه في رثاء أبيه .

(٨) الحرى : الخلق . والمعنى : إذا جفيت تنقلت ، فلا أصبح في مكان حتى أمسي في سواء .

(٩) حضرت : نزلت . والهموم : الأحزان . والعنس : الناقة الصلبة .

أَسَلَّى عَنْ الْخُطُوبِ وَآسَى      لِمَحَلٍّ مِنْ آلِ سَاسَانَ دَرَسِ (١)  
 ذَكَرْتَنِيهِمْ الْخُطُوبُ التَّوَالِي      وَلَقَدْ تَذَكَّرُ الْخُطُوبُ وَتُنْسِي (٢)  
 وَهُمْ خَافِضُونَ فِي ظِلِّ عَالٍ      مُشْرِفٍ يُخَسِرُ الْعَيُونَ وَيُخْسِي (٣)  
 مُغْلَقٍ بَابُهُ عَلَى جَبَلِ الْقَبْرِ      قِي إِلَى دَارَتِي خِلَاطٍ وَمَكْسِ (٤)  
 حِلَلٌ لَمْ تَكُنْ كَأَطْلَالٍ سَعْدِي      فِي قِفَارٍ مِنَ الْبَسَابِيسِ مُدْسِ (٥)  
 وَمَسَاعٍ لَوْلَا الْمَحَابَاةُ مِنِّي      لَمْ تُطَقِّهَا مَسْعَاةٌ عَنَسٍ وَعَبَسِ (٦)  
 نَقَلَ الدَّهْرُ عَهْدَهُنَّ عَنِ الْجِ      لِدَّةٍ ، حَتَّى غَدَوْنَ أَنْضَاءَ لُبْسِ (٧)  
 فَكَأَنَّ «الْجِرْمَازَ» مِنْ عَدَمِ الْأُزْ      سَ ، وَإِنْخِلَالِهِ بَنِيَّةٌ رَمْسِ (٨)  
 لَوْ تَرَاهُ عَلِمْتَ أَنَّ اللَّيَالِي      جَعَلْتَ فِيهِ مَأْتَمًا بَعْدَ عُرْسِ  
 وَهُوَ يُنْذِيكَ عَنْ عَجَائِبِ قَوْمٍ      لَا يُشَابُّ الْبَيَانَ فِيهِمْ بَلْبَسِ (٩)

(١) آسى : أحزن . وآل ساسان : أكاسرة الفرس . والدرس : الذى عفا أثره .

(٢) التوالى : المتتالية .

(٣) خافضون : ذرو عيش رغيد . وفي ظل عال : فى ظل قصر مرتفع ، ويريد به قصر الأكاسرة . ويخسر العيون : يضعفها ، إذا نظرت إليه ، لتبين ارتفاعه . ويخسى : يرد العين كليله .

(٤) جبل القبق : جبال القوقاز . والدارة : كل بلاد واسعة بين جبال . وخلاط ومكس : من بلاد أرمينية . يشير بذلك إلى ما كان لأصحاب القصر من واسع السلطان .

(٥) يذكر فى هذه الأبيات فضل الفرس على العرب . الحلل : جمع حلة ، وهى الطائفة من البيوت . والبسابس : جمع بسبس : وهو الخلاء من الأرض لا ماء فيه ولا ناس ولا كلاً . والملس : الحالية .

(٦) المساعى : جمع مسعاة ، وهى : المكreme . ولم تطقها : لم تقدر عليها . وعنس : قبيلة يمنية . وعبس : قبيلة مضرية فى نجد .

(٧) الجلدة : حالة الشيء الحديد . وأنضاء : جمع نضو ، وهو المهزوك من الحيوان ، والثوب البالى . واللبس : الاستعمال ، أى أبلاها الدهر بعد الجلدة .

(٨) الجرماز : بناء عظيم كان عند أبيض المدائن . والبنية : البناء . والرسم : القبر .

(٩) يشاب : يخاط . والبيان : المنطق الواضح . واللبس : عدم الوضوح .



فإذا ما رأيت صورة أنطا  
والنسايا موائل ، وأنوشير  
في أخضرار من اللباس على أض  
وعراك الرجال بين يديته  
من مشيح هوى بعامل رنج  
تصف العين أنهم جد أحياء  
يغتلي فيهم ارتياي ، حتى  
قد سقاني ، ولم يصرد أبو الغو  
من مدام تخالها ضوء نجم  
وتراها إذا أجدت سرورا

كبة ارتعت بين روم و فرس<sup>(١)</sup>  
وان يزجي الصفوف تحت الدرفس<sup>(٢)</sup>  
فر يختال في صبيغة ورس<sup>(٣)</sup>  
في خفوت منهم وإغماض جرس<sup>(٤)</sup>  
ومليح من السنان بترس<sup>(٥)</sup>  
، لهم بينهم إشارة خرس<sup>(٦)</sup>  
تتقراهم يداي بلنس<sup>(٧)</sup>  
ث على العسكرين شربة خلس<sup>(٨)</sup>  
نور الليل . أو مجاجة شمس<sup>(٩)</sup>  
وارتياحاً للشارب المتحسى<sup>(١٠)</sup>

- (١) أنطاكية : بلدة بالشام وقعت عند معركة بين الفرس والروم ، وقد صورت في الإيوان .  
وارتعت : فزعت .
- (٢) موائل : قائمات تنتظر العمل وقت الحرب . وأنوشروان : أحد الأكاسرة يدعى : خسرو الأول ( ٥٣١ - ٥٧٩ م ) . ويزجي : يسوق . والدرفس : العلم الكبير .
- (٣) يختال : يتبختر ويتكبر . والورس : نبات ذو صبغة صفراء .
- (٤) الخفوت : سكوت الصوت . والجرس : الصوت . وإغماضه : إخفاؤه وإبهامه .
- (٥) المشيح : الحذر المجذ . وعامل الرمح : صدره والمليح : الحذر . والسنان : السيف .  
والترس : المحن .
- (٦) تصف العين : تخيل لرائي الصورة .
- (٧) يغتلي : يزبد . وارتياي : شك في حياتهم . وتتقراهم : تتبعهم . أى أن الشك يداخني في أنهم أحياء ، حتى ألمسهم في الصورة يدي ، لأتبين هل هم أحياء حقاً كما يخيل إلى .
- (٨) صرد الشراب : قلله . وأبو النوث : ابن البحرى . وشربة خلس : شربة عاجلة .
- (٩) المجاجة : الريق ترمى به من فك .
- (١٠) أجدت : أسعدت . وتحسى المرق : شربه شيئاً بعد شيء .

أَفْرِغَتْ فِي الزُّجَاجِ مِنْ كُلِّ قَلْبٍ      فَهِيَ مَحْبُوبَةٌ إِلَى كُلِّ نَفْسٍ  
حُلْمٌ مُطَبَّقٌ عَلَى الشُّكِّ عَيْنِي      أَمْ أَمَانٍ غَيْرُنَ ظَنِّي وَحَدْسِي <sup>(١)</sup>  
وَكُنَّ الْإِيوَانَ مِنْ عَجَبِ الصَّنْ      هِيَ جَوِّبٌ فِي جَنْبِ أَرْعَنَ جَلْسِ <sup>(٢)</sup>  
يُتَظَنِّي مِنَ الْكَآبَةِ أَنْ يَبْ      لَوْ لِعَيْنَيَّ مُصْبِحٍ أَوْ مُمْسِي <sup>(٣)</sup>  
مُزَعَجًا بِالْفِرَاقِ عَنْ أَنْسِ الْفِ      عَزٌّ ، أَوْ مُرْهَقًا بِتَطْلِقِ عَرْسِ <sup>(٤)</sup>  
عَكَسَتْ حَظَّهُ اللَّيَالِي ، وَبَاتِ      مُشْتَرَى فِيهِ ، وَهُوَ كَوْكَبُ نَحْسِ <sup>(٥)</sup>  
فَهُوَ يُبْدِي تَجَلُّدًا ، وَعَلَيْهِ      كَلْكَلٌ مِنْ كَلَالِ الدَّهْرِ مُرْسِي <sup>(٦)</sup>  
لَمْ يَعْجُهُ أَنْ بُزَّ مِنْ بُسْطِ الدَّيْبِ      أَجْرٌ ، وَاسْتُلَّ مِنْ سُتُورِ الدَّمَقْسِ <sup>(٧)</sup>  
مُشْمَخِرٌ تَعَلَّوْا لَهُ شَرَفَاتُ      رُفِعَتْ فِي رُمُوسِ رَضْوَى وَقُدْسِ <sup>(٨)</sup>  
لَابَسَاتُ مِنَ الْبَيَاضِ ، فَمَا تَبُّ      صَبْرٌ مِنْهَا إِلَّا غَلَائِلَ بُرْسِ <sup>(٩)</sup>

(١) الخدس : التوهم .

(٢) عجب الصنعة : الصنعة الدقيقة المتينة . والجوب : الخرق ، والأرعن : الجبل ذو الرعن (بسكون العين) وهو : أنف يتقدم الجبل . والجلس : الجبل العالي . أي أن الإيوان يلوح لمتانة بنيانه ودقة صنعه كأنه من فعل الطبيعة لا الإنسان ، فكأنه بيت منقور في جبل ، اتخذته الأكاسرة مساكن لهم .  
(٣) يتظنى : يظن . ويبدو : يظهر . والمصبح : رائيه صباحاً . والممسي : رائيه مساءً .  
(٤) المرهق : المكلف ما لا يطيق . والمعنى : يظن لرائيه في الصباح أو في المساء أنه يظهر أمام عينيه ، لما لبسه الإيوان من كآبة - كأنما أزعجه فراق أليف عزيز عنده ، أو كلفه تطلق عروس يحبها .

(٥) المشتري كوكب يرمز به إلى السعادة ، ولكنه تحول في هذا القصر فصار نحساً .

(٦) التجاد : تكلف الجلد والصبر . والكلكل : الصدر . والمرسى : الثابت .

(٧) بز : سلب . والديباج : الثوب الحريري . واستل : أخرج وانتزع . والدقمس : الحريري .

(٨) المشمخر : العالي . والشرفات : ما ارتفع من بنائه . ورضوى : وقْدَس : جبلان .

والشاعر يشبه القصر في ارتفاعه بهذين الجبلين .

(٩) الغلائل : جمع غلالة ، وهي : شعار يلبس تحت الثوب . والبُرس : القطن أو شبيهه به .

ليس يُذَرَى أَصْنَعُ إِنْسٍ لِحَنٍّ      سَكَنُوهُ ، أَمْ صُنْعُ جِنٍّ لِإِنْسٍ  
غير أنى أراه يشهد أن لم      يكُ بانيه فى الملوكِ بِنِكْسٍ<sup>(١)</sup>  
فكأنى أرى المواكب والقو      مَ ، إذا ما بلغت آخرَ حِسِّ<sup>(٢)</sup>  
وكانَّ الوُفودَ ضاحِجِينَ حَسَرَى      من وقوفٍ خلفَ الزَّحامِ ونُحْسٍ<sup>(٣)</sup>  
وكانَّ القِيانَ وَسَطَ المقاصِ      رِ يُرَجِّعَنَّ بين حُورٍ ولُغْسٍ<sup>(٤)</sup>  
وكانَّ اللِّقاءَ أَوَّلُ من أم      سِ ، ووشكَ الفِراقُ أَوَّلُ أَمْسٍ<sup>(٥)</sup>  
وكانَّ الذى يريد اتِّباعاً      طامِعٌ فى لِقائِهِم صُبْحَ خَمْسٍ<sup>(٦)</sup>  
عُمِّرتَ للسرورِ دَهْرًا ، فصارت      للتَّعزَّى رَباعُهُم والتَّأسَى<sup>(٧)</sup>  
فلها أن أعينها بدموعٍ      موقفاتٍ على الصَّبابةِ حُبْسٍ<sup>(٨)</sup>  
ذاك عندى ، وليست الدارُ دارى      باقترابى منها ، ولا الجنسُ جنسى  
غيرَ نَعْمَى لأهلها عند أهلى      غرُسُوا من زكائِها خيرَ غَرَسٍ<sup>(٩)</sup>

(١) النكس : المقهور الدليل .

(٢) يتخيل الشاعر ماضى القصر ، وما كان له من مجد ، وما كان يملؤه من وسائل الترف والنعيم .

(٣) حسرى : كاشفين عن رموسهم . والخس : المتأخرون .

(٤) القيان : المغنيات . والمقاصير : حجرات المنزل . ويرجعن : يرددن ويكررن .

والحور : جمع حوراء ، وهى : ذات العين التى اشتد بياضها وسواد سوادها . والامس : جمع لعماء ، وهى : من فى شفها سواد مستحسن .

(٥) وشك الفراق : أى الفراق السريع .

(٦) أى كأن من يريد أن يتبعهم ليلتقى بهم طامع فى هذا اللقاء ، بعد أن يسير خمس ليال ،

يلقاهم صبح الليلة الخامسة .

(٧) التعزى : التبصر والتسل . والتأسى : اتخاذ الأسوة .

(٨) موقفات على الصبابة : محبوسات على الولوج الشديد . وحبس : لا تتعدها .

(٩) الذكاء : النماء .

أَيَّدُوا مُلْكَنَا . وَشَدُّوا قُوَاهُ      بِحُمَاةٍ تَحْتَ السَّنُورِ حُمْسٍ<sup>(١)</sup>  
وَأَعَانُوا عَلَى كِتَابِ أَرِيَا      طَاطَعْنَ عَلَى النُّحُورِ وَدَعَسٍ<sup>(٢)</sup>  
وَأَرَانِي مِنْ بَعْدُ أَكْلَفُ بِالْأَشْدِّ      رَافِطُ طُرًّا مِنْ كُلِّ سِنَخٍ وَجَنَسٍ<sup>(٣)</sup>

### هـ - معركة بحرية :

يصف الشاعر في هذه القصيدة قائداً بحرياً تحت إمرته جند شجعان التقوا بجند الروم في البحر ،  
يقودون أسطولا ضخماً . ودارت المعركة بين الفريقين في قوة وعنف ، وانتهت بهزيمة الروم :

غَدَوْتُ عَلَى الْمَيْمُونِ صُبْحاً ، وَإِنَّمَا      غَدَا الْمَرْكَبُ الْمَيْمُونُ تَحْتَ الْمَظْفَرِ<sup>(٤)</sup>  
أَطْلُ بِعَظْفِيهِ ، وَمَرٌّ ، كَأَنَّمَا      تَشْرَفُ مِنْ هَادِي حِصَانٍ شَهْرٍ<sup>(٥)</sup>  
إِذَا زَهَجَرَ النُّوقُ تَحْتَ عِلَاتِهِ      رَأَيْتَ خَطِيْباً فِي ذَوَابَةِ مَنَبَرٍ<sup>(٦)</sup>  
إِذَا عَصَفَتْ فِيهِ الْجَنُوبُ اعْتَلَى لَهُ      جَنَاحَا عَقَابٍ فِي السَّمَاءِ مَهَجَرٍ<sup>(٧)</sup>

(١) الحماة : المانعون لحوزتهم . والسُنُور : كل سلاح من حديد . والحُمس : الشجعان .  
وهو يشير بذلك إلى ما بذله الفرس من جهد في إقامة الدولة العباسية .

(٢) أرياط : قائد حبشي فتح اليمن . وقد أخرج اليمنيين الأحباش بمعونة الفرس . والكتائب :  
جمع كتيبة ، وهي : الفرقة من الجيش . والدعس : الدوس والطعن .

(٣) أكلف : أولع . والسِنخ : الأصل والمنبت .

(٤) الميمون : اسم السفينة .

(٥) بعظفيه ، الضمير يعود على المركب . وعظفا الرجل : جانباه ، من لدن رأسه إلى ركبته .

وعطف كل شيء : جانبه . وتشرف من أعلى الموضع : أشرف وعلا . والهادي : العنق .

(٦) الزنجرة : كثرة الصياح والصخب والصوت . النوق : الملاح . والعلاة : الناقة المشرفة

الجسيمة . وذوابة كل شيء : أعلاه . والمعنى : إذا صاح النوق فوق بنائه المتين المشرف بدا لك كأنه  
خطيب فوق أعلى المنبر .

(٧) عصفت الريح : اشتدت . والجنوب : ريح تقابل الشمال . والعقاب : طائر من

الجوارح : والمهجر : السائر في الحر الشديد .

إِذَا مَا انْكَفَا فِي هَبْوَةِ الْمَاءِ خِلْتَهُ      تَلَفَعَ فِي أَثْنَاءِ بُرْدٍ مُجَبَّرٍ <sup>(١)</sup>  
 وَحَوْلَكَ رَكَّابُونَ لِلْهَوْلِ ، عَاقَرُوا      كُثُوسَ الرَّدَى : مِنْ دَارِعِينَ ، وَحُسْرٍ <sup>(٢)</sup>  
 تَمِيلُ الْمَنَايَا حَيْثُ مَالَتْ أَكْفُهُمْ      إِذَا أَصْلَتُوا حَدَّ الْحَدِيدِ الْمَذْكُرِ <sup>(٣)</sup>  
 إِذَا رَشَقُوا بِالنَّارِ لَمْ يَكُ رَشْقُهُمْ      لَيَقْلَعَنَّ إِلَّا عَنْ شِوَاءٍ مُقْتَرٍ <sup>(٤)</sup>  
 صَدَمَتْ بِهِمْ صُهْبَ الْعَثَانِينَ دُونَهُمْ      بِضَرْبٍ كَأَيْقَادِ اللَّظَى الْمَتَسَعِرِ <sup>(٥)</sup>  
 يَسُوقُونَ أَسْطُولًا ، كَأَنَّ سَفِينَهُ      سَحَابٌ صَيْفٍ ، مِنْ جَهَامٍ وَمُمْطِرٍ <sup>(٦)</sup>  
 كَأَنَّ ضَجِيجَ الْبَحْرِ بَيْنَ رِمَاحِهِمْ      إِذَا اخْتَلَفَتْ تَرْجِيعُ عَوْدٍ مُجَرَّجِرٍ <sup>(٧)</sup>  
 تُقَارِبُ مِنْ زَخْفَيْهِمْ ، فَكَأَنَّمَا      تَوَلَّفَ مِنْ أَعْنَاقٍ وَخَشٍ مُنْفَرٍ <sup>(٨)</sup>  
 فَمَا رِمَتْ ، حَتَّى أَجَلَّتِ الْحَرْبُ عَنْ طُلَى      مُقَطَّعَةٍ فِيهِمْ . وَهَامٍ مُطِيرٍ <sup>(٩)</sup>

(١) انكفاً : انكب . وهبوة الماء : ما ارتفع ودقه من الماء ، كالملاءة عند هبوب الرياح ، وانكباب السفينة في البحر . وتلفع بالشوب : تغطى به . والأثناء : الطيات . والبرد : الشوب المخطط . والمجبر : المزين الموشى .

(٢) الهول : الأمر المفزع العظيم . وعاقروا الشيء : لازمه وأدمن عليه . والدارع : لابس الدرع . وحسر : جمع حاسر : من لا درع له ولا مغفر ، والمغفر : زرد يلبسه المحارب تحت القلنسوة . (٣) أصلت السيف : جرده . والمذكر من السيوف : الصارم ذو الماء .

(٤) رشقوا بالنار : رموا بها . وأقلع عنه : كف عنه وتركه . والشواء : ما شوى من اللحم وغيره . والمقتر : من قتر اللحم : سطمت رائحته .

(٥) الصهب : جمع أصهب ، وهو : من في شعره حمرة . والعثانين : جمع عثنون وهو : الحية . ويريد بصهب العثانين : الروم . واللظى : النار أو لهبها . والمشعر : المتقده المشتعل .

(٦) الجهام : السحاب لا ماء فيه . يشبه المراكب بالسحب في السماء ، وهي في حركتها في القتال تتحرك كسحاب الصيف .

(٧) اختلفت الرماح : أقبلت ، وأدبرت . والترجيع : الترديد والتكرير . والعود : المسن من الإبل . وجرجر البعير : ردد الصوت في حنجرته .

(٨) يصور حركة اقتراب الأسطولين .

(٩) رمت : فارقت المكان . وأجلى : كشف . والطلى : جمع طلية وهي : العنق .



على حين لا نَقْعٌ تُطَوِّحُهُ الصَّبَا  
وكنْتَ ابنَ كَسْرَى ، قبلَ ذاكَ وبعده  
جَدَحْتَ له الموتَ الزُّعَافَ . فعَافَه  
مَضَى ، وهو مَوَلَى الرِّيحِ ، يشكرُ فضلَها  
تعلَّقُ بالأرضِ الكبيرة ، بعد ما  
ولا أرضَ تُلْفَى للصَّريعِ المَقْطَرِ (١)  
ملياً بأن تُوهِى صَفَاةَ ابنِ قَيْصَرِ (٢)  
وطارَ على ألواحِ شَطْبِ مُسَمَّرِ (٣)  
عليه ، ومن يُولِّ الصَّنِيعَةَ يَشْكُرُ (٤)  
تنقَّصُهُ جَرَى الرَّدَى المَتَمَطَّرِ (٥)

### و- سيف :

قد جُدَّتْ بِالطَّرْفِ الجَوَادِ ، فَثَنَّهُ  
يَتَنَاسَلُ الرُّوحَ البَعِيدَ مَنَالُهُ  
ماضٍ ، وإن لم تُمَضِّهِ يَدُ فَارِسٍ  
يَغْشَى الوَغَى ، فَالتَّرْسُ ليسَ بِجُنَّةٍ  
لَأَخِيكَ من أَدَدِ أَبِيكَ بِمُنْصِلِ (٦)  
عَفْواً ، وَيَفْتَحُ فِي القَضَاءِ المَقْفَلِ (٧)  
بَطْلٍ ، وَمَصْقُولٍ ، وَإِنْ لَمْ يُضْغَلِ (٨)  
من حَدِّهِ ، والدَّرْعُ ليسَ بِمَعْقِلِ (٩)

- (١) النقع : الغبار . والصبا : ريح مهبها الشرق . وقطره : ألقاه على قطره أى جانبه وشقه .  
(٢) كان قائد الأسطول فارسياً ، ولذا لقبه بابن كسرى . وتوهى : تضعف . والصفاة : الحجر الصلد الضخم . ويريد بابن قيصر هنا الروم ، أو أمير أسطولهم .  
(٣) جدح السويق : لته ، يريد طبخت له وهيات . والزعاف : الذى يقتل سريعاً . وعافه : كرهه . والشطب : الطويل الحسن . يصف المركب الذى فر عليه قائد أسطول الروم .  
(٤) مولى : عبد . وأولاه صنيعه : قدم إليه إحساناً .  
(٥) الأرض الكبيرة : الواسعة . أى أنه لجأ إلى الأرض الواسعة بعد أن ضاق البحر به ، هارباً أمام الموت . وتنقصه : أخذ منه قليلاً . والردي : الهلاك . والمتمطر : المسرع الذى يعدو بسرعة .  
(٦) الطرف : الكريم من الخيل . والمنصل : السيف . وثنه : أى اجعل السيف عطية ثانية ، بعد العطية الأولى ، وهى الجواد الكريم . وأدد : أحد أجداد الشاعر ، وأحد أجداد من يطلب الشاعر منه السيف .  
(٧) عفواً : من غير ضرب .

- (٨) الماضى : القاطع . والمصقول : الناعم الأملس .  
(٩) الوغى : الحرب . والترس : صفحة من الفولاذ تحمل للوقاية من السيف ونحوه . والحنة : كل ما وقى من السلاح . والدرع : قميص من زرد الحديد ، يلبس وقاية من سلاح العدو . والمعقل : الملجأ .

مُصْنَعٍ إِلَى حُكْمِ الرَّدَى ، فَإِذَا مَضَى  
 مُتَالِقٍ يَفْرِى بِأَوَّلِ ضَرْبَةٍ  
 وَإِذَا أَصَابَ فِكْلٌ شَيْءٌ مَقْتَلٌ  
 وَكَأَنَّمَا سُودُ النُّمَالِ وَحُمُرُهَا  
 وَكَأَن شَاهِرُهُ إِذَا اسْتَعَصَى بِهِ  
 لَمْ يَلْتَفِتْ ، وَإِذَا قَضَى لَمْ يَعْدِلْ <sup>(١)</sup>  
 مَا أَذْرَكَتْ ، وَلَوْ أَنَّهَا فِي يَذْبُلٍ <sup>(٢)</sup>  
 وَإِذَا أُصِيبَ فَمَا لَهُ مِنْ مَقْتَلٍ  
 دَبَّتْ بِأَيْدٍ فِي قَرَاهُ وَأَرْجُلٍ <sup>(٣)</sup>  
 فِي الرُّوعِ يَعَصَى بِالسَّمَاءِ الْأَعَزَلِ <sup>(٤)</sup>

### ز- في الشيب :

نَاكَرَتْ لِمَتَى ، وَنَاكَرَتْ مِنْهَا  
 شَعْرَاتٌ أَقْصَاهُنَّ ، وَيَرْجِعُ  
 وَرَوَاءَ الْمَشِيبِ كَالنَّخِيسِ فِي عَيْنِ  
 سَوْءٍ هَذِي الْأَخْلَافِ وَالْأَعْوَاضِ <sup>(٥)</sup>  
 نَ رَجُوعَ السُّهَامِ فِي الْأَغْرَاضِ <sup>(٦)</sup>  
 نِي ، فَقُلْ فِيهِ فِي الْعَيْنِ الْمِرَاضِ <sup>(٧)</sup>

( ١ ) لم يلتفت : لم يصرف وجهه عما أراد . ولم يعدل : لم يمل ولم يحد .

( ٢ ) تالِق : لمع . وفرى الشيء : قطعه ، وشقه . ويذبل : اسم جبل .

( ٣ ) النمال : جمع نملة ، والقرا : الظهر .

( ٤ ) شهر السيف : سله . واستعصى به : ضرب به . والرُوع : الفرع . ويعصى : يضرب .

والسماك الأعزل : نجم نير .

( ٥ ) ناكرت : عابت . واللمة : ما تشعث من الشعر . والشعر المجاوز شحمة الأذن .

والأخلاف : جمع خلف ، وهو البديل . والأعواض جمع عوض .

( ٦ ) الأغراض : الأهداف .

( ٧ ) الرواء : حسن المنظر . والنخس : غرز الجنب بعود أو نحوه . والمراض : جمع مريضة ،

وهي العين الفاترة . أى إذا كان جمال المشيب يؤذى عينى فما بالك به في العيون الفاترة للغواني .

## ٤ - الشاعر الغنائى

### ١ - فى الفخر :

#### طى

يفتخر البحترى فى قصيدة طويلة بقبيلة طى<sup>١</sup> التى ينحدر منها ، وقد دار فخره بها حول صفات ،  
منها البأس وما يتبعه من شجاعة ونجدة ، والكرم ، وكثرة العبد ، ورجاحة الأحلام ، والفصاحة ،  
ومن تلك القصيدة :

إن قومى قومُ الشَّريفِ قديماً      وحديثاً ، أبوةً ، وجُوداً  
ذهبتُ طيِّئُ بسابقةِ المج      يدِ على العالمينَ ، بأساً وجُوداً  
فإذا المحلُّ جاءَ جاءُوا سُيولاً      وإذا النقعُ ثارَ ثاروا أسوداً<sup>(١)</sup>  
يُحسِنُ الذِّكرُ عنهمُ والأحادي      ثُ ، إذا حدثَ الحديدُ الحديداً  
مُعشَرٌ يُنَجِّزُونَ بالخيرِ والشَّ      رَّ يدَ الدهرِ - موعداً ووعيداً<sup>(٢)</sup>  
يُفرِّجونَ الوغىَ ، إذا ما أثار ال      ضَرْبُ من مُصمَّتِ الحديدِ صعيداً<sup>(٣)</sup>  
بوجوهٍ تُعشى السُّيوفَ ضياءً      وسُيوفٍ تُعشى الوجوهَ وقوداً<sup>(٤)</sup>  
عَدَلُوا الهَضْبَ من تِهامةٍ أحلا      ما ثقالا ، ورَمَلَ نجدٍ عديداً<sup>(٥)</sup>  
ملكوا الأرضَ قبلَ أنْ تُمْلِكَ الأر      ضُ وقادوا فى حافتيها الجنودا  
سائلَ الدهمَ مُذْ عرفناه هل يع      رِفُ منَّا إلا الفَعَالُ الحميدا

(١) المحل : الجذب . النقع : الغبار .

(٢) يد الدهر : من زمانه .

(٣) فرج الشيء : وسعه . والوغى : الحرب ، والمصمت : الذى لا جوف له . والصعيد : التراب

(٤) تعشى : تفسد بصرها . والوقود : التلألؤ .

(٥) عدلوا : ساووا . والهضب : جمع هضبة ، وهى : الجبل المنبسط على وجه الأرض .

قد لَعَمْرَى رُزْنَاهُ كَهَلًا ، وشَيْخًا ورَأَيْنَاهُ نَاشِئًا ، وولِيدًا<sup>(١)</sup>  
 وطوِينَا أَيَّامَهُ وليَالِيهِ هـ على المَكْرُمَاتِ بَيْضًا ، وَسُودَا  
 لم نَزَلْ قَطُّ. مَذْ تَرَعَرَعَ نَكْسُو هُ نَدَى لَيْنًا ، وبِأَسَا شَدِيدَا  
 فَهُوَ مِنْ مَجْدِنَا يَرْوَحُ ، وَيَغْدُو فِي عُلَا لَا تَبِيدُ حَتَّى يَبِيدَا<sup>(٢)</sup>  
 نَحْنُ ، أَبْنَاءُ يَعْرَبٍ ، أَعْرَبُ النَّاسِ لِسَانًا ، وَأَنْضَرُ النَّاسِ عَوْدًا<sup>(٣)</sup>  
 وَكَأَنَّ الْإِلَهَ قَالَ لَنَا فِي الْحَرْبِ : كُونُوا حِجَارَةً ، أَوْ حَدِيدًا

### نباهة الذكر

يفتخر الشاعر في هذه القصيدة بمكانته التي نالها عند الخلفاء ، فنادمهم ، وسعد بالحياة في ظلهم ،  
 وقبلوا شفاعته ، وبمكانته عند العرب ، فقد أعان محتاجهم ، وفك أسيرهم :

أَبْنَىٰ إِنِّي قَدْ نَضَوْتُ بَطَالَتِي فَتَحَسَّرْتُ ، وَصَحَوْتُ مِنْ سَكَرَاتِي<sup>(٤)</sup>  
 نَظَرْتُ إِلَى الْأَرْبَعُونَ ، فَأَصْرَخْتُ شَيْبِي ، وَهَزَّتْ لِلْحُنُوقِنَاتِي<sup>(٥)</sup>  
 وَأَرَىٰ لِدَاتِ أَبِي تَتَابَعَ كُثْرَهُمْ فَمَضَوْا . وَكَرَّ الدَّهْرُ نَحْوَ لِدَاتِي<sup>(٦)</sup>  
 وَمِنَ الْأَقَارِبِ مَنْ يُسَرُّ بِمَيْتِي سَفَهًا ، وَعِزُّ حَيَاتِهِمْ بِحَيَاتِي<sup>(٧)</sup>  
 إِنْ أَبَقَ أَوْ أَهْلَكَ ، فَقَدْ نَلْتُ الَّتِي مَلَأَتْ صُدُورَ أَقَارِبِي وَعُدَاتِي

(١) رزناه : جربناه .

(٢) تبید : تفتى .

(٣) يعرب : جد عرب اليمن . وأنضر : أجهل .

(٤) نضوت : قزعت ، وخلعت . البطالة : الهزل . وتحسرت : انكشفت .

(٥) أصرخت : أعانت ، والحنو : الانحناء . ويريد بالقناة : القامة . يريد أن بلوغه

الأربعين أعان الشيب على أن يميث في رأسه ، وأغرى قامته أن تنحني .

(٦) اللدات : جمع لدة ، وهو : من ولد معك . والكث : تقيض القل . وكر : انقض .

(٧) السفه : الجهل .

وَعَنَيْتُ نَدْمَانَ الْخَلَائِفِ نَابِهَا      ذِكْرِي : وَنَاعِمَةً بِهِمْ نَشَوَاتِي<sup>(١)</sup>  
 وَشَفَعْتُ فِي الْأَمْرِ الْجَلِيلِ إِلَيْهِمْ      بَعْدَ الْجَلِيلِ . فَأَنْجَحُوا طَلَبَاتِي  
 وَصَنَعْتُ فِي الْعَرَبِ الصَّنَائِعَ عِنْدَهُمْ      مِنْ رِقْدِ طُلَّابٍ . وَفَكَ عُنَاةٍ<sup>(٢)</sup>  
 فَالآنَ إِذْ نَاصَيْتُ أَعْنَانَ الْعُلَا      وَرَقَيْتُ مِنْهَا أَرْفَعَ الدَّرَجَاتِ<sup>(٣)</sup>  
 يَجْرِي ، لِيَدْخُلَ فِي غُبَارِ تَسْرُعِي      مَنْ لَيْسَ يَعْشُرُ فِي الرُّهَانِ أَنَاتِي<sup>(٤)</sup>  
 وَيَذِيْمُنِي مَنْ لَوْ ضَغَمْتُ قَبِيلَهُ      يَوْمَ الْقَخَارِ لَطَارَ فِي لَهَوَاتِي<sup>(٥)</sup>

ب - في العتاب :

### عتاب الفتح

يعاتب البحري بهذه القصيدة الفتح بن خاقان ، وقد تحدث في أولها عن ألمه من الحياة بعد أن سخط عليه الفتح ، واستبعد أن يأخذه الفتح بأقوال الأعداء ونبيه إلى ما أنشأ من مدائح فيه ، وأكد له أنه لا يعرف ذنباً أساء به إليه ، وذكره بسابق الود الذي كان بينهما :

عَذِيرِي مِنَ الْأَيَّامِ ، رَنْقَنْ مَشْرِبِي      وَلَقَيْتَنِي نَحْساً مِنَ الطَّيْرِ أَشْأَمَا<sup>(٦)</sup>  
 وَأَكْسَبْتَنِي سُخْطَ . امْرِئٍ بَتُّ مُوْهِنًا      أَرَى سُخْطَهُ لَيْلاً مَعَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا<sup>(٧)</sup>

(١) غنى : أقام . والنشوات : جمع نشوة . وهي : السكره : ويريد بها الحياة السعيدة .  
 (٢) الصنائع : جمع صنعة ، وهي : الإحسان . والرقد : العطاء ، والمعوقه . والعناة : الأسرى .  
 (٣) ناصى الشيء الشيء : اتصل به . وأعنان العلا : أطرافها .  
 (٤) يعشر : يبلغ العشر . والرهان : السباق . والآناة : التأتى .  
 (٥) يذيمنى : يذمنى ، ويعيبنى . وضغنه : عضه بملء فمه . واللهوات : جمع لهاة ، وهي : اللحمة في أقصى سقف الحلق .

(٦) عذيرى من الأيام : أى أننى إذا لمت الأيام وشكوت منها وجدت من يعذرنى فى ذلك .  
 ورَنْقَنْ : كدَرَنْ . ولَقَيْتَنِي : إلخ يريد : وجعلتنى متشأماً . وكان العرب يتفاءلون بالطير إن مر عن أيانهم ، ويتشامون إن مر عن يسارهم .

(٧) الموهن : من دخل فى الوهن من الليل ، والوهن : نحو منتصف الليل .



تبليج عن بعض الرضا، وانطوى على  
وأصيده إن نازعته اللحظ. رده  
ثناه العدا عني، فأصبح مسرعاً  
وقد كان سهلاً واضحاً، فتوعرت  
أمتخذ عندي الإساءة مُحسنٌ  
ومكتسبٌ في الملامة ماجدٌ  
يخوفني من سوء رأيك معشرٌ  
أعيدك أن أخشاك من غير حادثٍ  
ألست الموالٍ فيك غرقصائدٍ  
ولو أنني وقرت شعري وقارهُ  
لأكبرت أن أومي إليك بإصبعٍ  
وكان الذي يأتي به الدهر هيناً

بقية عتبٍ شارفت أن تصرماً<sup>(١)</sup>  
كليلاً، وإن راجعته القول جمماً<sup>(٢)</sup>  
وأوهمه الواشون، حتى توهماً<sup>(٣)</sup>  
رباه، وطلقاً ضاحكاً، فتجهماً<sup>(٤)</sup>  
ومنتقمٌ مني امرؤٌ كان مُنعماً  
يرى الحمد غنماً، والملامة مغماً<sup>(٥)</sup>  
ولا خوف إلا أن تجور، وتظليماً  
تبين، أو جرمٍ إليك تقدماً<sup>(٦)</sup>  
هي الأنجم اقتادت مع الليل أنجماً<sup>(٧)</sup>  
وأجللت مدحى فيك أن يتهضماً<sup>(٨)</sup>  
تضرع، أو أذنى لمعذرة فما<sup>(٩)</sup>  
على، ولو كان الحمام المقدماً

(١) تبليج : أشرق ، وأضاء . وانطوى على : أخفى . وشارفت : قاربت وتصرم : أى تتصرم :

تنقضى .

(٢) الأصيد : من يرفع رأسه كبراً . ونازعته اللحظ : جاذبته . والكليين : الضعيف .

ونجم الكلام : لم يبينه .

(٣) ثناه : صرفه . وأصبح : انقاد .

(٤) توعر : صعب وتعسر . وتجهم : عبس .

(٥) الملامة : اللوم . والماجد : العزيز الرفيع . والنعيم : الفوز . والمنعم : ما يعطى من

المال على كره .

(٦) الجرم : الذنب . (٧) النمر : المشهورة .

(٨) تهضمه : ظلمه ، وأذله .

(٩) أوماً : أشار . وتضرع : أى تتضرع : تخضع ، وتذل .

ولكنني أغلى محللك أن أرى  
أعد نظراً فيما تسخطت ، هل ترى  
رأيت العراق ناكرتني ، وأقسمت  
وكان رجائي أن أئوب مملوكاً  
وما مانع مما توهمت غير أن  
وأكبر ظني أنك المرء لم تكن  
ولم أعرف الذنب الذي سوتني له  
ولو كان ما خبرته أو ظننته  
أذكرك العهد الذي ليس سودداً  
وما حمل الركبان شرقاً ومغرباً  
أقر بما لم أجنيه . متنصلاً  
لِلذنب معروفاً ، وإن كنت جاهلاً

مُدلاً ، وأستحيبك أن أتعظما (١)  
مقلاً دنيئاً ، أو فعلاً مُدماً (٢)  
على صروف الدهر أن أتشأ ما (٣)  
فصار رجائي أن أئوب مسلماً  
تذكر بعض الأنس أو تتدماً (٤)  
تحلل بالسن الدمام المحرماً (٥)  
فأقتل نفسي حسرة وتندماً  
لما كان غزواً أن ألوم ، وتكرماً (٦)  
تناسيه ، والود الصحيح المسلماً  
وأنجد في أعلى البلاد ، وأتهما (٧)  
إليك ، على أنني إخالك ألوماً (٨)  
به ، ولك العتبي على ، وأنعماً (٩)

(١) أدل : وثق بمحبته فأفرط عليه .

(٢) تسخطه : تغضب عليه وتكرهه .

(٣) صروف الدهر : نوائبه . وأتشأ : أسير إلى الشام .

(٤) تذكر : تتذكر . وتدم : تجنب ما يدم عليه .

(٥) الدمام : الحق والحكمة .

(٦) لما كان غزواً : لما كان عجباً . وألوم : ألوم .

(٧) أنجد : أقي نجداً . وأتهما : نزل تهامة .

(٨) تنصل من الجناية : تبرأ منها . وألوم : أحق بأن تلام .

(٩) العتبي : الرضا . وأنعم : يريد وأنعم ، بنون التوكيد الخفيفة .

## ج - في الغزل :

أكثر ما للبحرئ من غزل هو ما جعله مقدمة لأغراضه الأخرى في الشعر ، حيث حدثنا عن كثير من عواطف الحب ، في القرب والبعد ، والرضا والسخط ، فن ذلك :

## جمال الحبيبة

فهو عندما يتحدث عما في قلبه من الحب ، يصف جمال من يحب ، والحبيبة في القصيدة بيضاء ، مرهفة القد ، تمشي في دلال ، وتميل من اللين ، وردية الخد ، ساحرة العين :

أُخْفِي هَوَى لَكَ فِي الضُّلُوعِ ، وَأُظْهِرُ      وَالْأَمُّ فِي كَمَدٍ عَلَيْكَ ، وَأُعْذَرُ<sup>(١)</sup>  
وَأَرَاكِ خُنْتِ عَلَى النَّوَى مَنْ لَمْ يَخُنْ      عَهْدَ الْهَوَى ، وَهَجَرْتَ مِنْ لَا يَهْجُرُ<sup>(٢)</sup>  
وطلبتُ منكِ مودَّةً لَمْ أُعْطَهَا      إِنَّ الْمُعَنَّى طَالِبٌ لَا يَظْفَرُ<sup>(٣)</sup>  
هَلْ دَيْنٌ «عَلْوَةٌ» يُسْتَطَاعُ ، فَيُقْتَضَى      أَوْ ظَلَمٌ «عَلْوَةٌ» يَسْتَفِيقُ ، فَيُقْصِرُ<sup>(٤)</sup>  
بِيضَاءُ ، يُعْطِيكَ الْقَضِيبُ قَوَامَهَا      وَيُرِيكَ عَيْنَيْهَا الْغَزَالُ الْأَحُورُ<sup>(٥)</sup>  
تمشي ، فتحكُمُ فِي الْقُلُوبِ بِدَلِّهَا      وَتَمِيسُ فِي ظِلِّ الشَّبَابِ وَتَخْطُرُ<sup>(٦)</sup>  
وتميلُ من لِينِ الصُّبَا ، فَيُقِيمُهَا      قَدْ يُونُثُ تَارَةً ، وَيَذَكَّرُ<sup>(٧)</sup>

(١) الكد : المرض والغم .

(٢) النوى : البعد .

(٣) المعنى : المكلف ما يشق عليه .

(٤) اقتضى الدين : طلبه وأخذه . ويستفيق : يصحو ، وأقصر عن الأمر : أمسك عنه

مع القدرة عليه .

(٥) حورت العين : اشتد بياضها وسواد سوادها .

(٦) الدل : التلوى . وتميس : تمشي وهي تمايل وتبخر .

(٧) قد يؤنث . . . أى يتلوى مرة ويعتدل مرة أخرى .

إِنِّي وَإِنْ جَانَيْتُ بَعْضَ بَطَالَتِي      وَتَوَهَّمُ الْوَاشُونَ أَنِّي مُقَصِّرٌ<sup>(١)</sup>  
لَيْشُوقُنِي سِحْرُ الْعَيْنِ الْمُجْتَلِي      وَيُرَوِّقُنِي وَرْدُ الْخُدُودِ الْأَحْمَرِ<sup>(٢)</sup>

ويراها أعطيت من الجمال ما لم يعطه الناس :

أَعْطَيْتُ بَسْطَةً عَلَى النَّاسِ حَتَّى      هِيَ صِنْفٌ فِي الْحَسَنِ وَالنَّاسِ صِنْفٌ<sup>(٣)</sup>  
اعْتِدَالٌ يُمِيلُ مِنْهُ انْخِنَاثٌ      وَتَشَنُّ فِيهِ الْفَخَامَةُ لُطْفٌ<sup>(٤)</sup>

بل يرى الحبيبة أجهل ما في الوجود ، وهو لذلك يحبها حباً تجدد له الليالي :

شَوْقٌ إِلَيْكَ تَفِيضٌ مِنْهُ الْأَذْمُعُ      وَجَوَى عَلَيْكَ تَضْيِيقٌ عَنْهُ الْأَضْلُعُ<sup>(٥)</sup>  
وَهَوَى تُجَدِّدُهُ اللَّيَالِي كُلَّمَا      قَدُمْتَ وَتُرْجِعُهُ السَّنُونُ ، فِيرْجِعْ  
إِنِّي وَمَا قَصَدَ الْحَجِيجُ ، وَدُونِهِمْ      خَرَقٌ تَخُبُّ بِهِ الرُّكَّابُ وَتَوَضِّعُ<sup>(٦)</sup>  
أَصْفِيكَ أَقْصَى الْوُدِّ غَيْرَ مُقَلِّلٍ      إِنْ كَانَ أَقْصَى الْوُدِّ عِنْدَكَ يَنْفَعُ<sup>(٧)</sup>  
وَأَرَاكَ أَحْسَنَ مَنْ أَرَاهُ وَإِنْ بَدَا      مِنْكَ الصَّدُودُ ، وَبَانَ وَضْلُكَ أَجْمَعُ<sup>(٨)</sup>  
يَعْتَادُنِي طَرَبِي إِلَيْكَ ، فَيَغْتَلِي      وَجْدِي ، وَيَدْعُونِي هَوَاكِ ، فَاتَّبِعْ<sup>(٩)</sup>  
كَلِيفًا بِحَبِّكَ مُوَلَّعًا ، وَيَسْرُنِي      أَنِّي أَمْرٌ كَلِيفٌ بِحَبِّكَ مُوَلَّعٌ<sup>(١٠)</sup>

(١) البطالة : الهزل . ومقصر : عسك عن اللهو .

(٢) يشوقني : يهيجني .

(٣) البسطة : الكمال .

(٤) الانخنات : البسطة والتشي .

(٥) الجوى : شدة الوجد من العشق .

(٦) الخرق : القفر . والحبيب نوع من طير اللدابة . والركاب : الإبل . وتوضع : تسرع .

(٧) أصنى فلاناً الود : أخلصه له .

(٨) بان : انقطع .

(٩) الطرب : الشوق . ويقتل : يسرع .

(١٠) الكليف : المحب حبا شديداً .

## فراق و ذكرى

يصف الشاعر موقف وداع لمن يحب ، انهملت فيه الدموع ، ولم يشفه اللقاء السريع . ومضى الشاعر مفارقاً يذكر من يهوى كلما رأى مشابه من حبيبه ، الذى لا يقبل فى حبه يوماً :

أَكُنْتَ مُعَنَّفِي يَوْمَ الرَّحِيلِ      وَقَدْ لَجَّتْ دُمُوعِي فِي الْهُمُولِ (١)  
 عَشِيَّةَ لَا الْفِرَاقُ أَفَاءَ عَزْمِي      إِلَى ، وَلَا اللَّهَاءُ شَفَى غَلِيلِي (٢)  
 دَنَنْتُ عِنْدَ الْوَدَاعِ لَوْ شَكَّ بَعْدِي      دُنُو الشَّمْسِ تَجَنَّحُ لِلْأَصِيلِ (٣)  
 وَصَدَّتْ ، لَا الْوَصَالُ لَهَا بِقَصْدِي      وَلَا الْإِسْعَافُ مِنْهَا بِالْمَخِيلِ (٤)  
 تَلِيمُ إِسَاءَةٍ ، وَالْأَلَمُ حُبًّا      وَبَعْضُ اللَّوْمِ يُغْرِى بِالْخَلِيلِ (٥)  
 طَرَبْتُ بِذِي الْأَرَاكِ ، وَشَوْقَتْنِي      طَوَالِيعُ مِنْ سَنَا بَرَقَ كَلِيلِي (٦)  
 وَذَكَّرَنِيكَ ، وَالذُّكْرَى عَنَاءُ      مَشَابَهُ فَيْكَ بَيْنَهُ الشُّكُولِ (٧) :  
 نَسِيمُ الرُّوْضِ فِي رِيحِ شِمَالِ      وَصَوْبُ الْمُزْنِ فِي رَاحِ شَمُولِ (٨)  
 عَذِيرِي مِنْ عَذُولٍ فَيْكَ يَلْحَى      عَلَيَّ ، أَلَا عَذِيرٌ مِنْ عَذُولِ (٩)

(١) عنفه : لومه بشدة . ولج في الأمر : لازمه ، وأبى أن ينصرف عنه ، والهمول : فيضان الدموع .

(٢) العشيّة : أول الظلام . وأفاء : أرجع . والغليل : العطش الشديد .

(٣) الشك : السرعة . وشك بعد : بعد سريع . وجنح إليه : مال . والأصيل : الوقت بين العصر والمغرب .

(٤) أسعفه بحاجته : قضاها له . والمخيل : المظنون .

(٥) تليم إساءة : تفعل ما تستحق عليه اللوم من الإساءة . ويغرى : يحض .

(٦) طرب : اهتز فرحاً أو حزناً ، وذو الأراك : موضع . والسنا : الضوء . والكليل : الضعيف .

(٧) الشكول : جمع شكل ، وهو : الشبه والنظير .

(٨) صوب المزن : انصباب المطر . والشمول : الباردة من الحر .

(٩) يلحى : يلوم . وعذيري من عذول : أى من يقدم عذري لعذول يلومني على حبك .



تَجَرَّمْتُ السَّنُونَ ، ولا سبيلُ  
إِلَيْكَ ، وَأَنْتِ وَاضِحَةُ السَّبِيلِ (١)  
وقد حاولتُ أَنْ تَخِذَ المطايا  
إِلَى حَيٍّ عَلَى حَلَبِ حُلُولِ (٢)  
ولو أَنَّنِي ملكْتُ إِلَيْكَ عِزِّي  
وَصَلْتُ النَّصَّ مِنْهَا بِالذَّمِيلِ (٣)

### حبية بالشام

يصور الشاعر لنفسه جمال حبيبته ويؤكد اتجاه قلبه الدائم إلى من يحبه بالشام ، برغم ما بينهما من القفار الشاسعة :

أَلَمْعُ بَرْقٍ سَرَى ؟ أَمْ ضَوْءُ مِصْبَاحٍ ؟  
يَا بُؤْسَ نَفْسٍ عَلَيْهَا جَدٌّ آسِفَةٌ  
تَهْتَزُّ مِثْلَ اهْتِزَازِ الْغُصْنِ أَتَعَبَةٌ  
وَيَرْجِعُ اللَّيْلُ مَبِيضًا إِذَا ابْتَسَمَتْ  
وَجَدَتْ نَفْسَكَ مِنْ نَفْسِي بِمَنْزِلَةٍ  
أُثْنِي عَلَيْكَ بِأَنِّي لَمْ أَجِدْ أَحَدًا  
أَم ابْتِسَامَتُهَا بِالْمَنْظَرِ الضَّاحِي ؟ (٤)  
وَشَجَوُ قَلْبٍ إِلَيْهَا جَدٌّ مُرْتَاحٍ (٥)  
مَرُورٌ غَيْثٍ مِنَ الْوَسْمَى سَحَّاحٍ (٦)  
عَنْ أَبْيَضٍ خَصِرِ السَّمْطَيْنِ لِمَاحٍ (٧)  
هِيَ الْمُصَافَاةُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالرَّاحِ (٨)  
يَلْحَى عَلَيْكَ ، وَمَاذَا يَزْعُمُ اللَّاحِي (٩)

(١) تجرمت : انقضت .

(٢) تخذ : تسرع . والمطايا : الدواب التي تتركب . وحلول : جميع حال : مقيم بالمكان .

(٣) النص : استحثاث الناقة استحثاثاً شديداً . والذميل : السير اللين .

(٤) سرى : مشى ليلاً . والضاحى : المنكشف . يريد ابتسامتها وهي سافرة . وهذا النوع من

الاستفهام يدعى في البديع بتجاهل العارف .

(٥) جد منصوبة على المصدرية ، ويراد بها المبالغة . والشجو : الحزن . ومرتاح : نشيط

إلى تذكرها .

(٦) الغيث : المطر . والوسمى : أول مطر الربيع . والسحاح : المنصب انصباباً متتابعاً غزيراً .

(٧) أبيض : صفة لشعر مجذوف . والخصر : البارد . والسمطين : صنق أسنانها . ولماح : لامع .

(٨) المصافاة : خلوص الود .

(٩) يلحى : يلوم . والاستفهام في : وماذا يزعم اللاحي للإنكار .

وليلةً القصر ، والصُّهْبَاءُ ناصِرةٌ      للهو بين أباريقٍ وأقداح<sup>(١)</sup>  
 أرسلتُ شُغْلَيْنِ : من لفظٍ محاسنه      تَدْوَى الصَّحِيحُ ولفظٍ يُسْكِرُ الصَّاحِي<sup>(٢)</sup>  
 حَبِيتُ خَدْيِكَ ، بَلْ حَبِيتُ مِنْ طَرَبٍ      وردًا بورْدٍ . وتَفَّاحًا بتَفَّاح  
 كم نظرةٍ لى حِيَالِ الشَّامِ ، لو وصلت      رَوَتْ غَلِيلَ فَوَادٍ مِنْكَ مُلْتَاَحِ<sup>(٣)</sup>  
 والعَيْسُ تَرى بِأَيْدِيهَا عَلَى عَجَلٍ      فى مَهْمَةٍ مِثْلَ ظَهْرِ التُّرْسِ رَحْرَاحِ<sup>(٤)</sup>

### جديرة بالحب

يرى الشاعر أنه ليس من العدل أن يلام فى حب « علوة » ، فيستعطفها ، ويرسل إليها سلامه .  
 ويؤكد لها حرصه على ودها برغم تنافى الديار :

عَذِيرى فَيْكٍ مِنْ لَاحٍ ، إِذَا مَا      شَكُوتُ الحُبِّ حَرَّقَنِى مَلَامًا<sup>(٥)</sup>  
 فَلَا وَأَبِيكَ ، مَا ضَيَّعْتُ حِلْمًا      وَلَا قَارَفْتُ فى حُبِّكَ ذَامًا<sup>(٦)</sup>  
 أَلَامٌ عَلَى هَوَاكِ . وَلَيْسَ عَدْلًا      إِذَا أَحْبَبْتُ مِثْلَكَ أَنْ أَلَامَا  
 لَقَدْ حَرَّمْتِ مِنْ وَصْلِ حَلَالًا      وَقَدْ حَلَلْتِ مِنْ هَجْرِ حَرَامًا<sup>(٧)</sup>  
 أَعِيدِى فى نَظَرَةٍ مُسْتَثْبِبٍ      تَوَخَّى الأَجَرَ ، أَوْ كَرِهَ الأَثَامَا<sup>(٨)</sup>

(١) الصهباء : الخمر . والأقداح : جمع قلع ، وهو إناء يشرب فيه .

(٢) أدوى : أمرض .

(٣) حِيَالِ الشام : قبالتها وإزائها . والغليل : العطش . وملتاح : عطشان .

(٤) العيس : الإبل البيض يخالط بياضها سواد خفيف . والمهمة : المفازة البعيدة . والترس :

صفحة من الفولاذ تحمل للوقاية من السيف ونحوه . والرحراح : الواسع .

(٥) اللامحى : اللائم . وحرقنى : أحرقنى .

(٦) الحلم : الصبر والأناة . وقارف النوب : داناه . والذام : العيب .

(٧) فى هذا البيت طباق بين الوصل والهجر ، والحلال والحرام .

(٨) المستثيب : طالب الثواب . وتوخى الأمر : تطلبه دون سواء . والأثام : الإثم .

نَرَى كَبِيداً مَحْرَقَةً ، وَعَيْنَا مَوْرَقَةً ، وَقَلْباً مُسْتَهَاماً<sup>(١)</sup>  
 تَنَاءَتْ دَارُ «عَلْوَةٍ» بَعْدَ قُرْبِ  
 وَجَدِّ طَيْفِهَا عَتَباً عَلَيْنَا فَمَا يَعْتَادُنَا إِلَّا لِمَاماً<sup>(٢)</sup>  
 وَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنِّي لَمْ أَضِيعْ لَهَا عَهْدًا ، وَلَمْ أَخْفِرْ ذِمَاماً<sup>(٣)</sup>  
 لَشَنْ أَضَحَتْ مَحَلَّتُنَا عِرَاقاً مَشْرِقَةً . وَحِلَّتْهَا شَاماً<sup>(٤)</sup>  
 فَلَمْ أُحْدِثْ لَهَا إِلَّا وَدَادًا وَلَمْ أَزِدْ بِهَا إِلَّا غَرَاماً

### طيف الحبيب

تحدث البحري كثيراً عن الطيف ، وهو في هذه القطعة يشبهه بالنسيم يهب من ناحية الروض ،  
 ويصف فرحاً بمقدمه ، ولكنه يعود فيراه لم يطق غلته ، فيدفعه ذلك إلى الشكوى من الحبيب ،  
 كما قال :

أَجِدُّكَ مَا يَنْفَكُ يَسْرَى لَزَيْنَبَا خَيَالٌ إِذَا آبَ الظَّلَامُ تَأَوَّبَا<sup>(٥)</sup>  
 سَرَى مِنْ أَعَالَى الشَّامِ يَجْلِبُهُ الْكَرَى هُبُوبَ نَسِيمِ الرُّوضِ تَجْلِبُهُ الصُّبَا<sup>(٦)</sup>  
 وَمَا زَارَنِي إِلَّا وَلِهْتُ صَبَابَةً إِلَيْهِ ، وَإِلَّا قُلْتُ : أَهْلًا ، وَمَرْحَبًا<sup>(٧)</sup>  
 وَلِيلَتْنَا بِالْجَزْعِ بَاتَ مُسَاعِفًا يُرِنِي أَنَاةَ الْخَطْوِ نَاعِمَةَ الصُّبَا<sup>(٨)</sup>

(١) استهم الرجل : ذهب فؤاده ، وخب عقله من الحب .

(٢) يعتادنا لمأماً : يزورنا غيباً .

(٣) لم أخفر ذماماً : لم أنقض عهداً .

(٤) المحلة : المحلة : مكان الحلول والنزول .

(٥) آب : رجع . وتأوب : ورد ليلاً .

(٦) الكرى : النوم . والصبا : ريح مهبها من الشرق .

(٧) ولهت : تحيرت من شدة الوجد .

(٨) الجزع : موضع . والمساعف : المساعد . وأناة الخطو : المرأة فيها فتور عند المشي .

أَضْرَتُ بِضَوْءِ الْبَدْرِ ، وَالْبَدْرُ طَالَعٌ  
 وَلَوْ كَانَ حَقًّا مَا أَتَتْهُ لَأَطْفَاءُ  
 عَلِمْتُكَ إِنْ مَنَيْتَ مَنَيْتَ مَوْعِدًا  
 فَوَاسْفَى ، حَتَّامٌ أَسْأَلُ مَانِعًا  
 وَقَامَتْ مَقَامَ الْبَدْرِ ، لَمَّا تَغَيَّبَا  
 غَلِيلاً ، وَلَافْتَكَّتْ أُسِيرًا مُعَذَّبًا<sup>(١)</sup>  
 جَهَامًا ، وَإِنْ أَبْرَقَتْ أَبْرَقَتْ خُلْبًا<sup>(٢)</sup>  
 وَآمَنُ خَوَانًا ، وَأُعْتِبُ مَذْنِبًا<sup>(٣)</sup>

ويراه مرة أخرى سبباً لتجديد اللقاء والفراق ، وما يصحبهما من سرور وأسى ، إذ يقول :

سُمِّقِيَتِ الْغَوَادِي مِنْ طُلُولٍ وَأَرْبُعٍ  
 وَإِنْ كُنْتُ لَا مَوْعِدُ أَسَاءَ رَاجِعِي  
 وَلَا نَافِعُ سَكْبُ الدَّمُوعِ الَّتِي جَرَّتْ  
 فَلَا وَصَلَ إِلَّا أَنْ يُطِيفَ خِيَالُهَا  
 أَلَمْتُ بِنَا بَعْدَ الْهَدُوءِ ، فَسَامَحَتْ  
 وَمَا بَرِحَتْ حَتَّى مَضَى اللَّيْلُ ، فَانْقَضَى  
 فَوَلَّتْ كَأَنَّ الْبَيْنَ يَخْلِجُ شَخْصَهَا  
 وَحَيَّتِ مِنْ دَارٍ لِأَسَاءَ بَلْقَعٍ<sup>(٤)</sup>  
 بِنُجْجٍ ، وَلَا تَسْوِيفُ أَسَاءَ مُقْنَعِي<sup>(٥)</sup>  
 عَلَيْهَا ، وَلَا فَرَطُ الْحَنِينِ الْمَرْجِعِ<sup>(٦)</sup>  
 بِنَاتَحْتَ جَوْشُوشٍ مِنَ اللَّيْلِ أَسْفَعِ<sup>(٧)</sup>  
 بِوَصَلٍ مَتَى نَطْلُبُهُ فِي الْجِدِّ تَمْنَعِ<sup>(٨)</sup>  
 وَأَعَجَلَهَا دَاعِي الصَّبَاحِ الْمُلَمَّعِ<sup>(٩)</sup>  
 أَوْ أَنْ تَوَلَّتْ مِنْ حَشَايَ وَأَضْلَعِي<sup>(١٠)</sup>

(١) الغليل : العطش الشديد . وافتكت : خلصت .

(٢) الجهام : السحاب لا ماء فيه . والبرق الخلب : الذي يكون في سحاب لا مطر فيه

(٣) أعتبه : أرضاه ، وأزال عتبه .

(٤) الطلول : جمع طلل ، وهو ما شخص من آثار الديار . والأربع : جمع ربع ، وهو :

الدار . والبلقع : الأرض القفر .

(٥) التسويف : المطل .

(٦) رجع في صوته : ردد ، وكرر .

(٧) الجوشوش : القطعة من الليل ، والأسفع : الأسود .

(٨) سامح بكدا : تساهل فيه .

(٩) برج المكان : زال عنه . والملمع : ذو الألوان المختلفة ، وذلك لاختلاط الظلام بالضوء .

ونور الشمس .

(١٠) يخلج شخصها : يجعلها تضطرب ، وتتحرك ، وتهايل .

أَرَانِي لَا أَنْفَكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ      تُعَاوِذُ فِيهَا الْمَالِكِيَّةُ مَضْجَعِي <sup>(١)</sup>  
 أَسْرُ بِقُرْبٍ مِنْ مُلِمٍّ مُسَلِّمٍ      وَأَشْجَى بَيْنَ مَنْ حَبِيبٍ مُودِّعٍ <sup>(٢)</sup>  
 وَكَائِنْ لَنَا بَعْدَ النَّوَى مِنْ تَفَرُّقٍ      تُزَجِّيه أَحْلَامُ الْكَرَى ، وَتَجْمَعُ <sup>(٣)</sup>  
 وَمِنْ لَوْعَةٍ تَعْتَادُ فِي إِثْرِ لَوْعَةٍ      وَمِنْ أَدْمَعٍ تَرْفُضُ فِي إِثْرِ أَدْمَعٍ <sup>(٤)</sup>

ومرة يسعد بالعليف ، ولكنه يذكره بالحبيب الناقى : فيعاهد نفسه على أن يجعل هذا الناقى المؤقت وسيلة لقربه من الحبيب قرباً دائماً ، إذ يقول .

أَجِرْنِي مِنَ الْوَاشِي الَّذِي جَارَ ، وَاعْتَدَى      وَغَابِرٍ حَبٍّ غَارَ بِي ثُمَّ أَنْجَدَا <sup>(٥)</sup>  
 وَإِلَّا فَاسْعِدْنِي بِدَمْعِكَ ، إِنَّهُ      يُهَوِّنُ مَا بِي أَنْ أَرَى لِي مُسْعِدَا <sup>(٦)</sup>  
 سَقَى الْغَيْثُ أَجْزَاءَ عَهْدَتُ بِجَوْهَا      غَزَالاً تُرَاعِيهِ الْجَاذِرُ أَغْيَدَا <sup>(٧)</sup>  
 إِذَا مَا الْكَرَى أَهْدَى إِلَى خِيَالِهِ      شَفَى قُرْبُهُ التَّبْرِيحَ ، وَأَنْقَعَ الصَّدَى <sup>(٨)</sup>  
 إِذَا انْتَزَعْتُهُ مِنْ يَدَيَّ انْتِبَاهَةً      عَدَدْتُ حَبِيباً رَاحَ مِنِّي أَوْ غَدَا  
 وَلَمْ أَرَ مِثْلَيْنَا . وَلَا مِثْلَ شَأْنِنَا      نَعْدَبُ أَيْقَاطاً ، وَنَنْعَمُ هُجْدَا <sup>(٩)</sup>

(١) المالكية : من يتنزل فيها .

(٢) الملم : النازل بالقوم . وشجى يشجى . حزن . والبين : الفراق .

(٣) وكائن لنا : وكم لنا . والنوى : البعد . وتزجيه : تسوقه وتدفعه .

(٤) اللوعة : حرقه الهوى . وترفض : تسيل .

(٥) الغابر : الباقي ، والماضي . وغار : ألقى النور . وهو ما انحدر من الأرض ، وأنجد :

أنى نجداً ، والمراد أن حبه ذهب به كل مله .

(٦) أسعدنى : عادنى .

(٧) الأجزاء : جمع جزع وهو : محلة القوم . وراعه : التفت إليه . والجاذر : جمع جؤذر ،

وهو : ولد البقرة الوحشية ، ويشبه الشعراء الحساء به لجمال عينيه . والأغيد : مائل العنق (كبراً) ، ولين الأعطاف .

(٨) التبريح : الشدة . ونقع الصدى : سكن العلى وقطعه .

(٩) الهجد : جمع هاجد ، وهو النائم .



تَصَعَّدُ أَنْفَاسِي جَوِّي وَتَشَوُّقًا      إِذَا الْبَرْقُ مِنْ غَرْبِي دِجْلَةً أَصْعَدَا<sup>(١)</sup>  
 وَمَا ذَاكَ إِلَّا لَوْعَةٌ لَكَ زَادَهَا      تَنَائِي الدِّيَارِ جِدَّةً ، وَتَوَقُّدًا  
 فَمَنْ غَاب يَنْوِي نِيَّةً عَنْ حَبِيبِهِ      وَهَجْرًا ، فَإِنِّي غَبْتُ عَنْكَ لِأَشْهَدَا<sup>(٢)</sup>

### ٥ - للشاعر الحكيم

لم يشتهر البحري بالحكمة ، ولكن كان له فيها بعض نظرات نثرها في قصائده ، وكان الظرف الذي أنشئت فيه القصيدة يستدعيها :

### فضل الفتى

لا يرى البحري في إعجاب المرء بنفسه ، ولا في نظافة ثوبه ، وما يركبه فضلا ، ولكن في أفعاله الكريمة :

أَبَا جَعْفَرٍ ، لَيْسَ فَضْلُ الْفَتَى      إِذَا رَاحَ فِي فَرْطٍ إِعْجَابِهِ  
 وَلَا فِي فَرَاهَةِ بَرْدُونِهِ      وَلَا فِي نِظَافَةِ أَثْوَابِهِ<sup>(٣)</sup>  
 وَلَكِنَّهُ فِي الْفَعَالِ الْكَرِيمِ      م ، وَالْخَطَرِ الْأَشْرَفِ النَّابِهِ<sup>(٤)</sup>  
 كَمَا لَا يَرَاهُ فِي حَسَبِ<sup>(٥)</sup> يَفْتَخِرُ بِهِ صَاحِبُهُ ، حَتَّى يَكُونَ فَعْلُهُ مُوَافِقًا هَذَا الْحَسَبِ :  
 لَا أَحْفِلُ الْمَرْءَ ، أَوْ تُقَدِّمُهُ      شَتَّى خِلَالٍ أَشْفَاهَا أَدَبُهُ<sup>(٦)</sup>  
 وَلَسْتُ أَعْتَدُ لِلْفَتَى حَسَبًا      حَتَّى يُرَى فِي فَعَالِهِ حَسَبُهُ

(١) تصعد : تتصعد .

(٢) ينوي نية ، يريد نية قلدًا ، أي رحلته بعيدة . فإنه غبت عنك لأشهدا : يشير إلى قول

الشاعر : « سأطلب بعد الدار عنكم ، لتقربوا » ، أي أنه غاب ليحقق آماله في الثروة والجاه مما يهيئ له العودة إلى من يحب ، والحياة بجواره حياة هائلة سعيدة .

(٣) فراهة البردون : حلقه في المشي . والبردون : الفرس .

(٤) النابه : الرفيع .

(٥) الحسب : ما يعترض مفاخر الآباء .

(٦) حفل به : بالى به واهتم له . وأشفاها : أظهرها .

## عدل الصديق

لا يريد البحتري من صديقه سوى العدل في المعاملة :

شَرَطِيَّ الْإِنْصَافُ، إِنْ قِيلَ : اشْتَرِطَ      وَصَدِيقِي مَنْ إِذَا صَافِي قَسَطُ. (١)  
أَدْعُ الْفَضْلَ ، فَلَا أَطْلُبُهُ      حَسْبِيَ الْعَدْلُ مِنَ النَّاسِ فَقَطُ. (٢)

## الرحلة للرزق

لا يرى البحتري البقاء في بلد لا يظفر فيه المرء بآماله ، بل يدموه إلى الرحلة في الشرق والغرب ؛  
لأن ليل الآمال في الرحلة والانتقال ؛ فلا يقل إنسان : كيف أنتقل بين أم شتى ؛ فالأرض متشابهة  
الأجزاء ، والناس متشابهون في العادات :

شَرْقٌ ؛ وَغَرْبٌ ؛ فَعَهْدُ الْعَاهِدِينَ بِمَا      طَلَبْتَ فِي ذَمْلَانَ الْإَيْتَقِ الدُّلَى (٣)  
وَلَا تَقُلْ : أُمَمٌ شَتَّى ، وَلَا فِرْقٌ      فَالْأَرْضُ مِنْ تُرْبَةٍ ، وَالنَّاسُ مِنْ رَجُلٍ

## خفض همومك

راحة المرء في تصغير الهموم ، أما هؤلاء الذين يكبرونها ، فإنهم يزيدون الحياة شقاء :

خَفِّضْ عَلَيْكَ مِنَ الْهُمُومِ ، فَإِنَّمَا      يَحْطِي بِرَاحَةٍ دَهْرٌ مِنْ خَفْضًا  
وَارْفُضْ دُنْيَاكِ الْمَطَامِعِ ، إِنَّهَا      شَيْنٌ يَغُرُّ ، وَحَقُّهَا أَنْ تُرْفَضَا (٤)

( ١ ) قسط : عدل .

( ٢ ) الفضل : الزيادة .

( ٣ ) الذملان : السير اللين . والإيتق : جمع ناقة . والدلل : جمع ذلول ، وهو : سهل القياد .

( ٤ ) دنيا : خسيات . والشين : العيب .

## القلب الشجاع

ينسب الشاعر إلى القلب أكبر الأثر في الإقدام ، أما وسائل القتال فقليلة الغناء من غير قلب جرى :

يُقِلُّ غَنَاءَ الْقَوْسِ نَبْعُ نَجَارِهَا      وساعدُ مَنْ يرمى عن القَوْسِ خِرْوَعُ<sup>(١)</sup>  
فَلَا تُغْلِيْنُ بِالسَّيْفِ كُلَّ غَلَاتِهِ      لِيَمْضَى ، فَإِنَّ الْقَلْبَ لَا السَّيْفَ يَقْطَعُ<sup>(٢)</sup>

وليس السيف من غير قلب سوى زينة لا تنفع :

وَمَا السَّيْفُ إِلَّا بَزُّ غَادٍ لَزِينَةٍ      إذا لم يكنْ أَمْضَى مِنَ السَّيْفِ حَامِلُهُ<sup>(٣)</sup>

## الوفاء والحلم

إذا كان الشاعر قديراً على إيذاء عدوه فهو وفي لأصدقائه ، يحفظ ودهم إذا غابوا . وهو حلم لا ينفب ما دام واجداً في الحلم ما يغنيه عن الغضب .

لَأَنْى وَإِنْ كُنْتُ مَرْهُوباً لِعَادِيَةٍ      أرمى عدوئى بها فى الفرط والحين<sup>(٤)</sup>  
لَذُوْ وِفَاءٍ لِأَهْلِ الْوُدِّ مُدْخَرٍ      عندى وغيب على الإخوان مأمون  
لَسْتُ مُنْبِرِيّاً بِالْجَهْلِ أَجْعَلُهُ      صناعة ما وجدتُ الحِلْمَ يَكْفِينِيْ

( ١ ) الغناء : الاكتفاء والجدوى . والنبع . شجر يتخذ منه القسى . والنجار : الأصل

والخروع : نبت ضعيف .

( ٢ ) يغلى : يجعله غالياً .

( ٣ ) البز : الثياب .

( ٤ ) العادية : من عدى عليه : ظلمه . والفرط : الحين . أى أرمى بها عدوى عندما أريد ذلك .

## المراجع

- أحمد الإسكندري : تاريخ اللغة والآداب في العصر العباسي
- أحمد بن عبد الله : (أبو العلاء المعري) : عبث الوليد .
- أحمد بن علي : ( الخطيب البغدادي ) : تاريخ بغداد .
- أحمد بن محمد بن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ .
- أحمد بن محمد بن عبد ربه : العقد الفريد ج ٣ .
- إسحق كنعان : البحري : درس ، وتحليل .
- الأشناداني : معاني الشعر .
- حبیب بن أوس : ( أبو تمام ) : ديوان الحماسة .
- الحسن بن بشر الأمدی : الموازنة بين أبي تمام والبحري .
- الحسن بن رشيق القيرواني : العمدة في صناعة الشعر ونقده .
- السباعي السباعي بيومي : تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي .
- طه حسين ( الدكتور ) : من حديث الشعر والنثر .
- عبد السلام رستم : طيف الوليد .
- عبد العزيز سيد الأهل : عبقرية البحري .
- عبد القادر الجرجاني : المختار من شعر المتنبي والبحري وأبي تمام .
- عبد الله بن مسلم بن قتيبة : أدب الكاتب .
- علي بن حسين المسعودي : الشعر والشعراء .
- علي بن عباس : ( ابن الرومي ) : مروج الذهب ج ٣ .
- علي بن عبد العزيز الجرجاني : ديوان ابن الرومي .
- علي بن عبد الغني الحصري : الوساطة بين المتنبي وخصومه .
- علي بن محمد بن الأثير : زهر الآداب .
- علي بن محمد بن الأثير : الكامل في التاريخ .

علي بن محمد : ( القاضي التنوخي )	: نشوار المحاضرة .
أبو الفرج الأصبهاني	: الأغاني ج ١٨ .
محمد بن إسحق النديم	: الفهرست .
محمد بن جرير الطبري	: تاريخ الأمم والملوك .
محمد الخضري	: تاريخ الدولة العباسية .
محمد بن سلام	: طبقات الشعراء .
محمد صبري ( الدكتور )	: الشوامخ : البحري .
محمد بن عمران المرزباني	: الموشح .
محمد بن يحيى الصولي	: أخبار أبي تمام .
محمد بن يزيد المبرّد	: الكامل .
محمود مصطفى	: الأدب العربي وتاريخه في العصر العباسي .
نصر الله بن محمد بن الأثير	: المثل السائر في أدب الكتاب والشّاعر .
الوليد بن عبيد ( البحري )	: حماسة البحريّ .
	: ديوان البحريّ .
ياقوت الروميّ	: معجم الأدباء .

## فهرست الفصل الأول عصر البحتری

صفحة	
٥	١ — الحياة السياسية
١٢	٢ — الحياة الاجتماعية
١٦	٣ — الحياة العقلية

## الفصل الثاني للبحتری في عصره

٢٤	١ — حياته
٣٠	٢ — صورته الجسدية والنفسية
٣٦	٣ — علاقته بعصره

## الفصل الثالث جوانب البحتری

٤٣	١ — آثاره
٤٦	٢ — مذهبه في الشعر
٤٩	٣ — فنون شعره :
٥٠	( أ ) الملاح
٥١	( ب ) الفخر



## صفحة

٥٢	( ح ) العتاب والاعتذار
٥٣	( د ) الرثاء
٥٤	( هـ ) الهجاء
٥٥	( و ) الحكمة والوصف
٥٧	( ز ) الغزل

٥٩ . . . . . ٤ — تأثيره وتأثيره

٦٢ . . . . . ٥ — منزلته

## الفصل الرابع

### منتخبات من آثار البحتري

٦٥	١ — الشاعر السياسي :
٦٥	الخليفة المتوكل
٦٦	إلى دمشق
٦٧	عودة إلى العراق
٦٨	صلح بني تغلب
٧١	موكب الخليفة
٧٣	ولاية العهد
٧٤	إنصاف العلويين
٧٥	خليفة قتيل
٧٩	٢ — الشاعر الاجتماعي :
٧٩	مفن بغيص
٨٠	ثياب جميلة وأخلاق سمجة
٨١	جار ثقيل
٨٢	بكاء قومه

## ٣ - الشاعر الوصّاف

٨٢ . . . . .

## ا - سحر الطبيعة :

٨٣ . . . . .

٨٣ . . . . . جمال الرياض

٨٥ . . . . . سحابة

٨٦ . . . . . الربيع الضاحك

٨٦ . . . . . من وصف الشام

٨٨ . . . . . من وصف العراق

## ب - الحيوان :

٩٠ . . . . .

٩٠ . . . . . ذئب ضار

٩٢ . . . . . فرس للفرز

## ح - القصور العباسية :

٩٤ . . . . .

٩٤ . . . . . الجعفرى

٩٥ . . . . . بركة الجعفرى

## د - إيوان كسرى :

٩٧ . . . . .

## هـ - معركة بحرية :

١٠٣ . . . . .

## و - سيف :

١٠٥ . . . . .

## ز - فى الشّيب :

١٠٦ . . . . .

## ٤ - الشاعر الغنائى :

١٠٧ . . . . .

## ا - فى الفخر :

١٠٧ . . . . .

طوى

١٠٧ . . . . .

١٠٨ . . . . . نياحة الذكر

## ب - فى العتاب :

١٠٩ . . . . .

١٠٩ . . . . . عتاب الفتح

صفحة

١١٢ . . . . . ح — في الغزل :

١١٢ . . . . . جمال الحبيبة

١١٤ . . . . . فراق وذكرى.

١١٥ . . . . . حبيبة بالشام

١١٦ . . . . . جديرة بالحلب

١١٧ . . . . . طيف الحبيب

١٢٠ . . . . . ه — الشّاعر الحكيم :

١٢٠ . . . . . فضل الفقى

١٢١ . . . . . عدل الصديق

١٢١ . . . . . الرحلة للرزق

١٢١ . . . . . خفض همومك

١٢٢ . . . . . القلب الشجاع

١٢٢ . . . . . الوفاء والحلم

١٢٣ . . . . . المراجع

١٢٥ . . . . . الفهرست

١٩٨٠ / ٣١٦١	رقم الإيداع
ISBN ٩٧٧ - ٢٤٧ - ٧٣٣٠ - ٤٢ - ١	التّرميم الدولي

١ / ٨٠ / ١٢٠

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)





## مجموعة نوابغ الفكر العربي

مجموعة جديدة جامعة تقدم نوابغ الفكر العربي في جميع العصور ، كما يصورهم ويترجمهم نوابغ الفكر العربي في العصر الحاضر من كل قطر وبلد ؛ فهي تعنى بالشعراء والكتاب ، كما تعنى بالفلاسفة والحكماء ، وتتناول أعلام اللغة كما تتناول أعلام التاريخ . وقد رأت دار المعارف أن تعهد في كل بحث من هذه البحوث إلى المختصين به وذوى الخبرة والدراية فيه ، فيجولوا فيه ويتبعوه بباب واف للمختار من روائع المترجم له مفسر المعاني مبين الأغراض .

### • اقرأ فيها :

- ١ - ابن رشد . ٢ - الجاحظ . ٣ - الشيخ نجيب الحداد .
- ٤ - محمود سامي البارودي . ٥ - ابن زيدون . ٦ - الشيخ ناصيف اليازجي . ٧ - إخوان الصفا . ٨ - بشار بن برد . ٩ - بديع الزمان الهمداني . ١٠ - أبو الفرج الأصبهاني . ١١ - ابن الرومي .
- ١٢ - الفرزدق . ١٣ - السهروردي . ١٤ - الشيخ إبراهيم اليازجي .
- ١٥ - المتنبي . ١٦ - البحترى . ١٧ - الجنساء . ١٨ - ابن قتيبة .
- ١٩ - جرير . ٢٠ - ابن المقفع . ٢١ - أبو حيان التوحيدى .
- ٢٢ - ابن سينا . ٢٣ - عبد الرحمن الكواكبي . ٢٤ - رفاعة رافع الطهطاوى . ٢٥ - خليل مطران . ٢٦ - ولى الدين يكن .
- ٢٧ - صفي الدين الحلى . ٢٨ - البهاء زهير . ٢٩ - جمال الدين الأفغانى . ٣٠ - تقي الدين بن حجة الحموى . ٣١ - الفارابى .
- ٣٢ - ابن رشيق القيروانى . ٣٣ - القاضى الجرجانى . ٣٤ - حسان ابن ثابت . ٣٥ - قاسم أمين . ٣٦ - ضياء الدين بن الأثير .
- ٣٧ - يعقوب صروف . ٣٨ - المسعودى . ٣٩ - أمين الريحانى .
- ٤٠ - حسن العطار . ٤١ - الشريف الرضى .